دولة ليبيا
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة الأسمرية الإسلامية
كلية الآداب

عنوان البحث

الجانب الالهي عند الغزالي

إعداد
الدكتور : فيصل صلاح الرشيدي

العام الجامعي ٢٠١٣-٢٠١٤م

مقدمة

الحمد لله المنفرد بالإيجاد والإعدام , المتوحد بالتأثير والإبداع وخلق الأعـــراض والأجسام , المنزه عن الحلول والإتحاد بشيء غيره من جميع الأجرام , المحيط علمـــاً بالكليات والجزئيات , المتصرف بالعلويات والسفليات , المهيمن على جميع الجهـــات , فلا حصر له تعالى بخاص ولا عام , الذي تنزه عن التكيف والكم وعن الفرح والحزن والغم وعن الألم والذوق والشم .

وبعـــد

ان موضوع بحثنا (مفهوم أدلة وجود الله وصفة العلم الإلهي عنـــد الغزالي) من الموضوعات الحية في الفكر الإسلامي , فقد شغلت هذه المشكلة معظم فلاسفة الإسلام , ولا نظن أن أحداً منهم لم يهتم بها , أو يعيرها غايته وليس ثمـــة شـــك أن المـــشكلة المطروحة تتيح للباحث الوقوف على تاريخ الفكر الفلسفي منذ اليونان حتـــى فلاســـفة الإسلام .

أهمية الدراسة

تبرز اهمية هذه الدراسة في بيان الامور الاتية :-

أولا: أسس أدلة وجود الله – سبحانه وتعالي – وصفة العلم الالهي وهذا ما يسمي بالجانب الالهي عند الغزالي , وهذا الجانب يهتم ايضا بالصفات الالهية وحدوث العالم.

ثانيا : التأصيل الشرعي للموضوعات التي عرضها الامام الغزالي استنادا الي النصوص الواضحة من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة .

ثالثا : اتباع الاسلوب العلمي في دراسة الصفات الالهية والرد علي الفرق الكلامية .

رابعا : التعرض لبعض المصطلحات المستخدمة في ادلة وجود الله وصفة العلم الالهية مثل الابداع , الاختراع , العناية . وكان الامام الغزالي حسنا التركيب والتنظيم والتقسيم .

خامسا : الالتزام بأخلاقيات العلم وادبيات الحوار عند الامام الغزالي فكان متواضعا ولم تظهر في لغته التهكم والسخرية والحط من قدر الآخرين وبالأخص عندما نقر الفلاسفة بقولهم بقدم العالم اذا يحترم المرافقين والمخالفين له في الراي في عقيدته .

سادسا : تبين هذه الدراسة منهج الغزالي من خلال اضافاته الاصلية التي تنبع من القرآن والسنة ومصنفاته الأصلية مثل كتاب ميزان العمل والمنقظ من الضلال الي ذي العزة والجلالة.

الدراسات السابقة

بعد البحث والاطلاع لم يجد الباحث اي دراسة بحثت ادلة وجود الله عند الغزالي , وصفة العلم الالاهي كدراسة مستقلة ومعظم الدراسات التي تكلمت عن الغزالي مثل السبيه عنده او آرائه الكلامية والجانب الصوفي عند الغزالي وكذلك اهتمو بالجانب السياسي عند الغزالي , أما الجانب الالهي الذي يشمل ادلة وجود الله , وصفة العلم الالهي , وصفات الله – سبحانه وتعالي – التي تدل علي التنزيه المطلق لله , فلم نجد بحثا مستقلا اهتم بهذا البحث , وهذا مما جعلني اهتم بدراسة هذا البحث , لأبراز الحقيقة الالوهية لله .

منهجية الدراسة :-

اتبعنا في كتابة هذا البحث طريقة (جون ديوي) في طريقة الاقتباس من المصادر والمراجع بمعني انا المصادر والمراجع التي نقتبس منها ندونها في اخر البحث وليس في الهامش .
ويوجد في الهامش بعض المصطلحات المستخدمة في البحث لذلك يقول (جون ديوي) البحث هوا التحويل المنضبط المنظم .
اتبع الباحث في دراسته عدة مناهج وهي ما يلي :-
أولا: المنهج الاستقرائي التحليلي القائم علي استقراء الكتب العقائدية والفقهية عند الامام الغزالي المتعلقة بإثبات وجود الله وصفة العلم الالهي .
ثانيا : تحديد معني المصطلحات المستخدمة في الصفات الالهية السلبية والاجابية .
ثالثا: استخدام المنهج المقارن في حدود العالم القدمي عند اليونانيين .
رابعا : المقارنة ين الصفات الالهية عند الغزالي بي المثابرة , الفيلسوف الاسلامية , الصفات الالهية عند الفلاسفة اليونانيين مثلا افلاطون وارسطو .
خامسا : استخدام المنهج النقدي لأثبات صفة العلم الالهي لأن الامام الغزالي نقد الفرق الكلامية نظرا لقولهم بالتجسيم والتشبيه لله تعالي ونقد ايضا الغزالي افلاطون وارسطو بقولهما تقدم العالم وانا الله لا يعلم الا الجزئيات

خطة البحث:-

أحتوي هذا البحث علي مقدمة وأربع مباحث هامة وخاتمة
أما المقدمة فقد اشتملت علي بيان موضوع الدراسة واهميتها والدراسات السابقة في الموضوع مع بيان منهج الدراسة
المبحث الأول: - حياة الغزالي ومضافاته العلمية في الفقه والمنطق والعقائد والتصوف
المبحث الثاني :- مفهوم ادلة وجود الله عند الغزالي ويشمل :

أ- دليل التمانع
ب- دليل العناية الالهية
ج- دليل الاختراع

المبحث الثالث:- حدوث العالم عند الغزالي ويجتوي هذا المبحث علي ما يلي :-

أ- موقف الغزالي من افلاطون وارسطو في حدوث وقدم العالم .
ب- مفهوم الزمان وعلاقته بحدوث العالم
ت- الجوهر والعرض وعلاقته بحدوث العالم

المبحث الرابع :- احكام صفة العلم الالهي عند الغزالي ويشمل هذا المبحث ما يلي :-

أ- صفة العلم الالهي عند افلاطون وارسطو والكندي والفاري وابن سينا.
ب- موقف الغزالي من هؤلاء الفلاسفة السالفة الذكر.
د- احكام صفة العلم الالهي عند الغزالي .
ج- صفة العلم الالهي عند الغزالي وابن رشد دراسة مقارنة

الخاتمه :- وهي خلاصة البحث :
اللهم أجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم , وزهرا ليوم الدين واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

وقد انطلق الغزالي لإثبات صفة العلم الإلهي من خلال دراسته للوجود وحدوث العالم , لأن البحث في الوجود هو المقدمة الطبيعية لحدوث العالم , وصفه العلم الإلهي .

واستخدم الغزالي الوجود بالمعنى الإسلامي مخالفاً للفلاسفة اليونانيين , ففرق بين نوعين من الوجود : وجود لاعن أول وهو القديم عز وجل ووجود عن أول وهو العالم , والموجودات منحصرة في الجواهر الأعراض فإن العقل إنما يجد في العالم جواهر وأعراض وصفات وموضوعات ولابد من وجود جهة للجوهر لأن الجهة دليل على التحيز وهي مرتبطة بالحركة إذن الله ليس بجوهر يتحير ولا جسم مؤلف من جواهر .

وحدوث العالم عند الغزالي مرتبط بصفة العلم الإلهي لأن القول بالحدوث إبطال قدم العالم عن طريق أن الزمان لا بداية له ولا نهاية , وأن كل ما سوى الله تعالى محدث وكلمة سوى محتاج إلى قدرته وإرادته وعلمه القديم لأن علم الله تعالى محيط بكل شيء محيط بما لا يتناهى وعلم الإنسان محدث , وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث .

والإمام الغزالي بعد أن برهن على وجود العالم وحدوثه ينتقل إلى إثبات صفة العلم الإلهي لكي يثبت أن الله محيط بكل شيء لذلك قسم الصفات إلى صفات معنوية وذاتية وسلبية وفعلية وأن كل صفة من صفات الله لها خاصية لا توجد لغيرها والهدف منها هو التنزيه المطلق لله سبحانه وتعالى , وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه .

ومن أهم الصفات : الإرادة – القدرة – السمع – البصر – الحياة – العلم , ويستعمل دليل الشاهد على الغائب ليوضح هذه الصفات , وعند استعماله لبرهان الشاهد على الغائب يجعل له شروطاً وأحكاماً ليبين ما يجب معرفته من الصفات لله تعالى وما يجوز عليه وما يستحيل عليه , ولذلك خالف آراء المعتزلة لاستعمالهم الدليل العقلي فقط لاثباتهم الأحكام لله دون الصفات , وبرهن الغزالي على ذلك من خلال الأدلة النقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

قصدنا بهذه المقدمة عن الغزالي وإثبات صفة العلم الإلهي إلى إلقاء نظرة على حياته وأعماله باعتباره فيلسوف إسلامي ليتيسر للقارئ الكريم فهم شخصيته وآرائه

ومنهجه في تقويم الدين وإظهار عظمة الخالق في مخلوقاته بمنهجية واضحة سليمة , وإن مسلك الغزالي في كتاب التهافت قائم في معظمه على التشكيك والنقد .

مهدنا لهذا البحث بمقدمة تناولنا فيها المنهج المقارن والمنهج النقدي عند الغزالي لإثبات مفهوم صفة العلم الإلهي , وكذلك موقفه من الفرق الكلامية وتهافته من الفلاسفة وأيضاً تمهيده لدراسة الوجود وحدوث العالم لإثبات صفة العلم الإلهي وتقسيمة الصفات إلى سبع صفات , ثم عرضنا خصائص الصفات وتحدثنا عن نقد الغزالي الشديد إلى أفلاطون وأرسطو واختتمنا المقدمة بأن الغزالي أثبت صفة العلم الإلهي عن طريق الأدلة النقلية وهي القرآن والسنة , وكذلك أدلة وجود الله .

ولا ينكر أحد أثر البيئة الخاصة والبيئة العامة ومؤلفات الفيلسوف في سير فلسفته الكلامية والفلسفية والدليل على ذلك أن البيئة تؤثر في الفرد أكبر من تأثير الفرد في المجتمع وأن فلسفته مستمدة من مؤلفاته , نسأل الله أن ينفعنا بعلمه وأن يجزيه عما قدم للإسلام والمسلمين من تراث إسلامي أصيل .

المبحث الأول : حياة ومؤلفات الإمام الغزالي :-

هو الشيخ الحجة العلامة الفقيه الأصولي الفلسفي المنطقي الصوفي المشارك في كثير من العلوم الشرعية والعقلية واسمه الحقيقي : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي , ولد بطوس سنة (٤٥٠هـ - ١٠٥٨م) وتوفى يوم الإثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة (٥٠٥هـ - ١١١١م) بالطابران ودفن بطاهر الطابران وهي قصبة طوس ولم يعقِّب إلا البنات .

ويقول ابن خلدون في مقدمته (فلسفة التاريخ) التاريخ ولد حيثما ولد الإنسان بمعنى أن التاريخ يحدد العصر الذي عاش فيه الفيلسوف لأن لكل عصر سمات وخصائص بمعنى أن الغزالي عاش في القرن الرابع الهجري وأدرك مطلع الخامس الهجري وتعتبر مشكلة علم الله بالكليات أم الجزئيات من المشاكل العميقة التي شغلت الفكر الإسلامي في القرن الرابع الهجري وهو القرن الذي عاش فيه الغزالي ولا نعتقد أن أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات الفلسفية قد غفلت عن هذا الجانب , والقرن الرابع الهجري يتميز بالصراعات والجدل بين الفرق الكلامية بوجه عام , وموقف الغزالي في هذا العصر يذهب في محاولة استيعاب المنطق داخل الفكر السني إلى حد

القول أنه هو نفسه (القسطاس المستقيم) الذي عرض به القرآن العقيدة الإسلامية ورد به على المجادلين الكفار ليثبت صفة العلم الإلهي التي تشمل الكليات والجزئيات كما هو واضح في كتابه (تهافت الفلاسفة) .

وقد قسم الغزالي كتبه قسمين : قسم سماه (المضنون بها على غير أهلها) وقد ادخر محتيات هذا القسم لنفسه , وقسم قدمه للجمهور واعتبره خاصاً بهم لائقاً بمستواهم العقلي :

المبحث الثاني:-

أهم مصنفاته :-

أولاً : في* الفقه وأصول* الفقه *:-

- التعليقة من فروع المذهب .
- البسيط في الفروع , وهو كالمختصر للنهاية والوسيط ملخص منه وزاد فيه أموراً في الإبانة للنوراني .
- خلاصة المختصر – للمزنى – ونقاوة المعتصر .
- مآخذ الخلاف بين الحنفية والشافعية .
- تحصين المآخذ في علم الخلاف .
- المستصفى من علم الأصول .
- المنخول في الأصول .
- شفاء الغليل في القياس والتعليل .
- تهذيب الأصول .

---

* الفقه : والفقه في الإصلاح هو العلم بالأحكام الشرعية العملية بالاستدلال , القرافي : مختصر تنقيح الفصول في الأصول ص٤١ .

* ويقول الفارابي في كتابة الملة (صناعة الفقه هي التي بها يقتدر الإنسان على أن يستنبط تقدير شيء ما لم يصرح واضح الشريعة بتحديده عن الأشياء التي صرح فيها بالتحدير والتقدير وأن يتحرى تصحيح ذلك على حسب غرض واضح الشريعة بالملة التي شرعها في الأمة التي لها شيء (أبو نصر الفارابي – كتاب الملة – دار المشرق - بيروت تحقيق محسن مهدي ط٢ سنة ٢٠٠١ م .

* أصول : جمع أصل يطلق هذا اللفظ على مصطلحات مختلفة أشهرها تدل على ثلاثة فروع للعلوم الإسلامية وهي أصول الدين وأصول الحديث وأصول الفقه وعلم أصول الدين مرادف الكلام أما علم أصول الفقه في تصنيف العلوم الإسلامية بأنه العلم بقواعد الفقه الإسلامي باعتبار أنه العلم بالأدلة التي تؤدي إلى تقرير الأحكام الشرعية (دائرة المعارف الإسلامية – المجلد الثاني – دار المعرفة بيروت ص ٢٦٥ .

- أساس القياس , لأن القياس في اللغة عبارة عن تقدير ومنه يقال قست الأرض وفي اصطلاح الأصولين فهو منقسم إلى قياس العكس وقياس الطرد .

ثانياً : مؤلفاته في المنطق والمناهج والجدال والبحث والمناظرة والفلسفة :-

- لباب النظر .
- المنتحل في علم الجدل , وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين الكل المذاهب الفقهية.
- معيار العلم , في فن المنطق والغرض منه تفهيم طرق الفكر والنظر والإطلاع على ما أودعناه كتاب تهافت الفلاسفة .
- القسطاس المستقيم , قسم الناس ثلاثة أصناف (عوام – خواص – الجدل).

ثالثاً : في العقائد والردود على المخالفين :-

- مقاصد الفلاسفة .
- المستظهري في الرد على الباطنية* .
- قواصم الباطنية .
- الاقتصاد في الاعتقاد , ويقول فيه ومن العلوم ما يعني بمحاجة الكفار ومجادلتهم (طبقة المتعلمون) .
- المقصد الأسني شرح أسماء الله الحسنى , لا سيما في الأسماء المشتقة من الأفعال.
- الأربعون في أصول الدين .
- تهافت الفلاسفة , والغرض منه إثبات أن العقل قاصر عن إدراك حقائق الأمور الإلهية .
- القانون الكلي في التأويل .
- الجام العوام عن علم الكلام* .

---

* الباطنية : اطلقوها على الإسماعيلية لأنهم يقولون بالباطن والظاهر .

* أما مقصود علم الكلام – كما حكى الغزالي – فهو حفظ العقيدة على إنسان نشأ مسلماً وأخذ عقيدته من الكتاب والسنة , ومن الشكوك التي تثار حولها والطعون التي تواجه إليها , وقد يسمى علم الكلام , إما لأن أشهر مسألة وقع فيها الخلاف بين علماء القرون الأولى , هي أن كلام الله المتلو حادث أو قديم وإما لأن مبناه الدليل العقلي وأثره يظهر من كل متكلم في كلامه , وقلما يرجع فيه إلى النقل اللهم إلا بعد تقرير الأصول الأولى , ثم الإنتقال منها إلى ما هو أشبه بالفرع عنها وإن كان أصلاً لما يأتي بعدها , وإما لأنه في بيان طرق الإستدلال على أصول الدين أشبه

- الرد الجميل على صريح الإنجيل .

رابعاً : في التصوف *والمواعظ وغير ذلك :-

- ميزان العمل .
- إحياء علوم الدين , وهو الأعجوبة العظيمة الشأن ويشمل العبادات والعادات وغيرها .
- بداية الهداية وهو في التصوف الإسلامي ويقول فيه أن الدين شطران ترك المناهي وقفل الطاعات .
- جواهر القرآن , وحرام على من يقع ذلك الكتاب في يده أن يظهره إلا على من استجمع هذه الصفات (علم التراث – الصفات – الأفعال – علم المعاد) ..
- أيها الولد .
- الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة .
- الروح .
- كيمياء السعادة .
- مشكاة الأنوار .
- منهاج العابدين .

مكانته العلمية :-

بالمنطق في تبيينه مالك الحجة في علوم أهل النظر وأبدل المنطق بالكلام للتفرقة بينهما . (رسالة التوحيد – الإمام محمد عبده – القاهرة ص ٧ – ٨) .

* التصوف : الصوفي من اتبع طريقة التصوف واتسم بسمات أصحابها وأشهر الآراء في تسميته أنه سمي بذلك لأنه يفضل لبس الصوف تقشفاً وقيل أيضاً أنه اسمه مأخوذ من الصفاء لأنه هو الذي يصفو قلبه بكف النفس عن الهوى والاستغراق بالكلية في ذكر الله وللصوفي عدة تعريفات (أن الصوفي هو الذي صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله عن البشر واستوى عن الذهب والمدر والحرير والوبر) (المعجم الفلسفي د. جميل حليبا ط ص٧٤٧ دار الكتاب العالمي سنة ١٤١٤ – ١٩٩٤ , الغزالي (أقام بناء مذهب صوفي لطف فيه من القول بوحدة الوجود أو هو قضى عليه قضاءً تاماً وجعل كشف أهل التصوف مصدراً من مصادر علم الكلام الإسلامي إلى جانب العقل والنقل) (دائرة المعارف الإسلامية – المجلد الثاني ص٥٨٠ .

مما سبق يتضح لنا أن شخصية الغزالي متعددة الجوانب وقد كتب في مختلف المجالات فكان الغزالي فيلسوفاً ومتكلماً وصوفياً ومفسراً ومعلماً وإذا قيست كل كتاباته التي أثرى بها الفكر الإسلامي بالقياس إلى ما عجز في هذه الحياة لتبين أنها كم كبير . فلم يعمر الغزالي إلا حوالي خمسة وخمسين عاماً (٤٥٠ هـ - ٥٠٥م) وذهب البعض يقول لو وزعت مؤلفاته على سنوات عمره لكان تأليفه في اليوم أربعة كراريس , وهذه إيماءة تدل على أن الرجل نذر حياته للفكر والعلم *يقول عنه هنري كوربان هو دون شك كان من أعظم الشخصيات الروحية في الإسلام .

*يقول ابكر العربي رأيت الإمام الغزالي في البرية وبيده عكازه . وقد كنت رأيته ببغداد يحضر مجلس درسه نحو أربعمائة عمامة من أكابر الناس وأفاضلهم يأخذون عنه العلم .

هنالك وتشابه الغزالي وديكارت في أمر المعرفة وموقف العقل من الوحي .

ونظرا لمؤلفاته الغزيرة ألف الدكتور عبد الرحمن بدوي كتاباً أسماه (مؤلفات الغزالي) .

*منهجه الفلسفي

أما إذا انتقلنا إلى منهجه في التفلسف من خلال مفهوم صفة العلم الإلهي فنقول أن الغزالي كان ينشر فلسفة خادمة للدين لا ديناً خادماً للفلسفة وبعبارة أخرى أن الحقيقة عنده توزن بالشرع لأن العقل في رأيه ما لم يهتد على نور وبصيرة الشرع لتعثر وضل الطريق وسوف نعرض بعض النماذج من فلسفته حتى نستطيع أن نعرف الإيدلوجي الذي يحكم هذه الفلسفة الغزالية , ونستطيع أن نلتمس النهج الغزالي في أدلته على وجود الله مثل دليل التمانع ودليل العناية الإلهية لإثبات صفة العلم الإلهي , ولما أراد الغزالي حجة الإسلام وممثل أهل السنة والجماعة أن بها جم الفلسفة والفلاسفة لم يجد أمامه سوى ابن سينا فكتب في دحض مذهبه كتابه المشهور (تهافت الفلاسفة) .

***مفهوم أدلة وجود الله عند الغزالي :**

قبل أن يتحدث الغزالي عن ادلة وجود الله يبين لنا معنى الألوهية لكي يثبت أن علم الله محيط بكل شيء وأنه يعلم الكليات والجزئيات .

معنى الألوهية* عند الغزالي : استغناء الإله عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه إليه فدخل تحت الإستغناء ثمانية وعشرون عقيدة : الوجود , القدم , البقاء ,

*صفات الله تعالى:-

والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس ووجوب السمع والبصر والكلام ولوازمها هي : يكون سميعاً بصيراً متكلماً وتنزهه عن الغرض وأفعاله وأحكامه وعن وجوب شيء عليه , قيل أن الله تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبه الحيز .

*وجود الله تعالى:-

وينبه الإمام الغزالي المؤمنين بمعرفة الله سبحانه وتعالى وأن أجلى الموجودات هو الله سبحانه وتعالى حيث يقول في كتابه إحياء علوم الدين : أعلم أن اظهر الموجودات وأجلاها هو الله , وكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الإفهام وأسهلها على العقول وترى الأمر بالضد من ذلك فلابد من بيان السبب فيه , وإنما قلنا إنه أظهر الموجودات وأجلها لمعنى لا تفهمه إلا بمثال وهو أن إذا رأينا إنساناً يكتب أو يخيط مثلاً كان كونه حياً عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة .

*كيف تدرك وجود الله عند الغزالي :-

ووجود الله عند الغزالي ندركه بالحواس الظاهرة من خلال مخلوقاته في الأرض والسماء حيث يقول : ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائرصفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبخار ونار وهواء وجوهر وعرض , مما سبق يتضح لنا أن الغزالي يربط بين صفة العلم لله وقياس الشاهد في الكون وذلك من خلال الحواس الظاهرة والباطنة , ونجد في كتابه أسرار المخلوقات كل هذا .

---

* الألوهية : هي صفة المؤلَّه أو ماهية كنه الذات الإلهية وهي عند الصوفية اسم مرتبة جامعة المراتب الأسماء والصفات كلها , أو اسم لجميع حقائق الوجود وحفظها في مراتبها وإذا أضيف لفظ الألوهية إلى الشيء دل على تأليه ذلك الشيء . (المعجم الفلسفس , د. جميل صليا , ص١٢٩)

ومن أهم الأدلة على وجود الله سبحانه وتعالى عند الإمام الغزالي ما يلي :-

أولاً : دليل التمانع :

ويبرهن الغزالي على ذلك من خلال الآيات القرآنية فيقول (قلت هـذا الميـزان مستفاد من قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) سورة النساء آية ٢١ / ٢٢ , وهذا الدليل يفيد وحدانية الله * في علمه المحيط بكل صغيرة وكبيرة ومن قوله تعالى (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) الأنبياء آية ٢١ ,

***أهمية دليل التمايع في البرهنة علي وجود الله عند الغزالي :-**

وقوله تعالى (لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَـبِيلاً) الإسراء ١٧ , **وأن الله عز وجل واحد لا شريك له** , فرد لا ند لـه المنفـرد بالخلق والإبداع .

وتحقيق صورة هذا الميزان تقول (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) فهذا أصل ومعلوم أنهما لم تفسدا وهذا أصل آخر , فيلزم منهما نتيجـة ضـرورية وهـي **نفي الإلهين** ولو كان مع ذي العرش آلهة : لا تبتغوا إلى ذي العرش سبيلا ومعلوم أنهـم لم يبتغوا فيلزم آلهة سوى ذي العرش , أنه لو كان اثنين وأراد أحدهما أمراً فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً ولم يكن إلهاً قادراً .

***ويؤكد الغزالي على دليل التمانع لكي يثبت** صفة العلم الإلهي التـي تتميز بالشمولية والكلية وأنها محيطة بكل شيء ولا يشارك الله أحد فيها من البشر وأن علم الله سبحانه وتعالى مختلف عن علم البشر لأنها تتميز بالكمال والبعد عن النقصان وليس كمثله شيء , ولقوله تعالى (وهو معكم) يعني بالعلم وبكل شيء محيط إحاطـة العلم .

---

* وحدانية الله : صفة لما هو أوحد , فيقال وحدانية الله وهي غير الوحدانية التي تعني عدم انقسام الموجود في ذاته , وانفصاله عما سواه , بينما الوحدانية تعني عدم وجود نظير أو شبيه أو مثل (المعجم الفلسفي يوسف كرم وآخرين , ص١٨٦ القاهرة , ١٩٦٦ م .

يقول الغزالي : فإن مدير الملك والملكوت واحد* لا شريك له وسنته الصادرة عن إرادته الأزلية وعلمه مطردة لا بتبديل لها .

ويقول الإمام الغزالي : أما وجود الله فهو واجب غير مستفاد والقيومية لله وحده , وهذا هو المعنى الباطن للنهي عن التشبيه هو ينهى عن التشبيه المادي ولكنه أفسح مجالاً للتأويلات الصوفية و يتحدث الغزالي في كتاب آخر له (إلجام العوام عن علم الكلام) ص٤٧ وما بعدها يبين ما لتنزيه في وصف الله من خطر يؤدي بالعامة إلى الالحاد وما في استعمال الألفاظ المشتركة وضروب التمثيل من خطر يجرهم إلى التشبه , وعندنا ومعنا ومحيطا بالعالم محدقاً بالذات في حالة واحدة والواحد يستحيل أن يكون بذاته في حالة بكل مكان .

ثانياً : العناية الإلهية :-

بعد أن تحدث الغزالي عن دليل التمانع وأثبت أن الله سبحانه وتعالى لا شريك له وأن علمه وصفاته لا يشاركه احدا فيها , واحاطته بكل شيء وعلمه قديم أزلي يتميز بالكمال وعلم الإنسان يتميز بالجزيئيات فقط لأن العقل إنما يدرك الأشياء من جهة أسبابها فقط ثم بعد ذلك يتحدث عن المخلوقات لكي يبين أن العالم محكم في ضقته مرتب في خلقه ويبرهن الغزالي ويثبت دليل العناية الإلهية من خلال مخلوقات الله عز وجل وعنايته بمخلوقاته حيث يقول (وأما الرشد فنعني به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده .

وهذا النظام السائد إذاً بين الكائنات يحتاج إلى منظم عالم خبير بكل شيء وهو الله سبحانه وتعالى وإن مبدأ العناية الإلهية يفسر كيف يجري التكيف الإلهي بما يتناسب وقدرة الإنسان , وتسخير المخلوقات لمنفعة الإنسان يقول الغزالي : فقد

---

* وحدانية : القول بأن ليس يوجد , وليس يمكن أن يوجد سوى إله واحد أو وحداني في مقابل تعدد الآلهة وفي مقابل ثنائية وفي مقابل احادية ذلك أن الوحدانية تقرر أن الله عله مفارقة أي أنه كائن شخص الكون في حاجة إليه لكي يوجد أما هو فليس في حاجة إلى أحد (المصدر سابق ص١٨٩) , د. جميل صليا , المعجم الفلسفي , ص ٢٦ ط .

خلق سبحانه فيها الأرض والجبال لمنافع متعددة لا يحيط بجميعها إلا الله . ومع سعة قدرته وعلمه *وشمول نعمته كما جعل هذه السعة في المياه وما ذلك لما سبق في علمه لخلائقه مما هو الأصلح .

كما أشار إلى ذلك بقوله تعالى (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ) الحجر آية ٢١ . إذ العناية هي كون الأول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير , وعلة لذاته للخير والكمال بحسب , ويعقل نظام الخير على الوجه الذي بلغ فيه , بلغ في

*ويقول الغزالي في كتابه أسرار الحكمة في مخلوقات الله , باب في حكمة خلق البحر وكل ذلك شواهد متظاهرة ودلائل متضافرة وآيات ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بادئها معربة عن كمال قدرته وعلمه وعجائب حكمته قائلة أما ترى تصديري وتركيبي وصفائي زمناً واختلاف حالي وكثرة فوائدي أيظن ذولب سليم وعقل رصين أني تكونت بنفسي أو أبدعني أحد من جنسي بل ذلك صنع القادر القهار عالم الغيب والشهادة العزيز الجبار .

ومن الجدير بالذكر بأن الغزالي ربط بين العناية الإلهية * وصفة العلم الإلهي بمعنى أن الله سبحانه وتعالى عندما صنع العالم وتدبيره له ما من صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وإن دل على شيء فإنما يدل على كمال علمه , وهو عالم الغيب والشهادة أي أن هناك أشياء لم يطلع عليها أي إنسان إلا الله سبحانه وتعالى وعالم الشهادة من أسرار حكمته وعلمه في صنع ملكوت السموات والأرض عبرة لأولى

---

* علمه (علم إلهي) : العلم الإلهي لا ينقسم وليس يذهب من فكرة إلى أخرى , ولكن الله يرى جميع الأشياء التي يعرفها حاضرة معاً بحدس واحد غير جسمي , إذا استبعدنا من المعرفة الإنسانية كل تعاقب وتركنا لها فقط قوة الحقيقة اليقينية أي القوة التي بتأمل واحد سرمدي تنفذ إلى الأشياء جميعاً , فحينئذ نحصل بوجه ما على تصور ما للعلم الإلهي (المعجم الفلسفس يوسف كرم وآخرين ص١١٤) .

* العناية الإلهية : بقول يوسف كرم : ليس العناية مجرد إحاطة علم بالكل , ولكنها توجيه فعال إلى غاية وتوفيق فعال إلى الأفعال ولا سيما بالنسبة إلى الإنسان الكائن العقل الحر .

- وعناية الله على نحوين : عناية عامة وهي رسم برنامج للعالم وتعيين غاية له بالإجمال .

- وعناية خاصة وهي اهتمام الله بالأفراد كل فرد على حدة

ويقول الاسكندر الأفروديسي إن قول من يقول إن العناية تقع بالجزئيات كلها قول في نهاية الخطأ .

الأبصار **حيث يقول** : فجعل سبحانه وتعالى في هذا الخلق عبرة لأولى الأبصار وآيات بينات على عظمته وجلاله علمه بتقديرها وتصويرها , وكان من بليغ الحكمة وحسن التدبير وقوفها على هذا الحد المقدر رحمة من الله ورفقاً بخلقه فإذا وحدت هذا كله صنعة الله تعالى من قطرة ماء فما ظنك بصنعته في ملكوت السماوات والأرض وشمسها وقمرها وكواكبها وحكمته في أقدارها وأشكالها وأوضاعها .

ويوضح لنا الغزالي بأن عناية الله سبحانه وتعالى بالمخلوقات تشهد بكمال العلم لله **وتأثر ديكارت*** **الفيلسوف الفرنسي بذلك حيث يقول** : الله هو الموجود المطلق الكمال الذي لا يمكن أن ينقصه كمال ما) .

ويقول كذلك (إن طبيعة لها بذاتها جميع الكمالات التي أستطيع أن أتصورها هي في كلمة واحد الله) .

***دليل الممكن والواجب :-**

أما المفسرون فقسموا الموجود إلى ممكن وواجب وقالوا إن الكائنات كلها ممكنة الوجود أما الله فهو وحده (واجب الوجود) وعلى هذا يمكن أن تطلق صفة العدم على الكائنات لأن قبولها للفساد يجعل مصيرها إليه .

***صنع الله اتقانه للأشياء :-**

يقول الغزالي : إن هذه الصفة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبر والعناية الإلهية وكمال العلم لا بمعنى أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال **وكذلك** ما من شيء إلا وهو محتاج إلى نفسه إلى موجد يوجده ويبقيه ويديم أوصافه , وكمال العلم عند الغزالي إلى أي علمه القديم فلم يزل عالماً بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته , وأن إرادته قديمة على وفق سبق العلم الأزلي .

ثالثاً : دليل الإختراع :

---

* ديكارت : ولد سنة ١٥٩٦ في ضواحي مدينة تور الفرنسية وتوفى سنة ١٦٥٠ ومن مؤلفاته تدبير العقل أو قواعد هداية العقل – مبادئ الفلسفة – في الطبيعيات والرياضيات . يوسف كرم تاريخ الفلسفة الحديثة – دار القلم – بيروت ص ٥٨ .

يقول الغزالي في كتابه قواعد العقائد . وأنه متفضل بالخلق والإختراع وأن الله تعالى لايكلف ما لايطاق , أو كيف يكون الحيوان مستبداً بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتفكر فيه عقول ذوي الألباب , ومن يتعلم تشريح أعضاء الحيوان يرى عجائب صنع الله وبدائع حكمته.

صنع العالم عن طريق الاختراع :-

ويؤكد الغزالي على دقة صنع العالم عن طريق الإختراع* حيث يقول : فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمه بتفصيل ما يصدر منها من الإكتساب ؟

وأن الله سبحانه وتعالى مدبر حركات العباد بعلمه المحيط بكل شيء فيقول إن إنفراد سبحانه وتعالى باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقرورة للعباد وعلى سبيل الإكتساب , بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعاً وأنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعاً وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق بعد عنه باكتساب , وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون **الاختراع فقط** إذ قدرة الله تعالى وعلمه في الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلاً بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعاً آخر من التعلق فيه يظهر أن يتعلق القدرة ليس مخصوصاً بحصول المقدور بها .

ويؤكد ابن رشد في كتابه مناهج الأدلة على دليل الاختراع فيقول (وأما الأصل الثاني فهو أن كل مخترع فيصبح من هذين الأصلين أن للوجود فاعلاً مخترعاً له .. ولذلك كان واجباً على من أراد معرفة الله حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ليقف

---

* لفظ الاختراع : ولفظ الاختراع يذكرنا هو الىخر بلفظ الإبداع الذي ردده من قبل الفارابي وابن سينا فعولوا على الدليل الكوني الذي يحاول أن يثبت وجود الله عن طريق الكون , د. إبراهيم مدكور – الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه – ص٧٩ – دار المعارف – سنة ١٩٧٦ .

والاختراع معناها الإبداع في الفعل الإنساني (د. بدوي طبانه مصحح البلاغة العربية المجلد الأول – ص٦٨ – منشورات جامعة طرابل الطبعة الأولى – ١٢٩٠ هـ - ١٩٧٥ م .

على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات لان من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع) .

إذن وضع العالم واختراع الأشياء يعتبر من العلوم الهامة التي يجب على الإنسان إدراكها ويستنتج بأن وراء هذا العالم صانع عالم بكل شيء وهو الله سبحانه وتعالى : **حيث يقول الغزالي** : في كتابه إحياء علوم الدين وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خلق *ورزق وعطاء ومنع وحياة* وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد وبإبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه .

ومن أدلة الله في الوجود أن العالم منظم ومنسق بقدرته الإلهية واختراعه وعلمه لخلق العالم يقول الغزالي : فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله فهو المخترع الموجد له وهو المبقى له وهو المكمل لوجوده يخلق صفات الكمال وخلق الأسباب الموصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب .

*ادلة الغزالي من السنة علي وجود الله :-

ويستدل الإمام الغزالي بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول : كان سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" يقول إن الله عالم فيجب أن تكون له صفة العلم ولكن بم يتعلق العلم ؟

الشيء في ذات الله أم بشيء غير ذاته ؟ إن كانت الأولى ففي ذاته تعدد وإن كانت الثانية فعلمه متعلق بشيء غير ذاته فلا يكون علماً واجباً فلا يكون مالك الصفة واجب الوجود , وبين أن إثبات الوحدانية *لله وقيامه *بذاته ينافي وصفه بصفات

---

* (وقد علم أن الفاعل هو المحدث للشيء وأنه متى استعمل على غير هذا الوجه كان مجازاً وكذلك الخلق هو إحداث الشيء ومقداراً) . القاضي عبد الجبار المغني – الجزء الثامن المخلوق ص٢٥٧ تحقيق د. توفيق الطويل – الدار المصرية للتأليف والترجمة – سنة ١٩٦٢ م .

* الحياة : هي صفة توجب للموصوف بها أن يعلم ويقدر التعريفات الجرجاني ص٨٤ الناشر مصطفى الحلبي سنة ١٢٥٧ – ١٩٢٨ م .

* الوحدانية : التوحيد علم يبحث فيه عن وجود الله , وما يجب أن يثبت له من صفات وما يجوز أن يوصف به وما يجب أن ينبغي عنه , وعن الرسل لإثبات رسالتهم , وأصل معنى التوحيد : اعتقاد أن الله واحد لا شريك له ,

الإيجاب , ومعنى الإيجاب في الفقه الإثبات يقال وجب الشيء وجوباً ثبت ولزم وأوجبته إيجاباً وأوجب الشيء صيره واجباً والإيجاب عن الفلاسفة هو إيقاع النسبة وإيجابها في الجملة هو الحكم بوجود محمول الموضوع (ابن سينا النجاة ص ١٨) .

بعد أن تحدثنا عن أدلة وبراهين وجود الله سبحانه وتعالى وأثبتنا بأن الله موجود في كل مكان وذلك من خلال مصنفات الغزالي الفلسفية والدينية وبرهن على وجود الله من خلال دليل التمانع ودليل العناية الإلهية ودليل الاختراع وكان أسلوبه واضح وجليل لتميزه بالفصاحة والفلسفة ويعتمد على نزعته النقدية الفلسفية , وبين لنا الغزالي بأن العلاقة وثيقة الصلة بين وجود الله وصفة العلم الإلهي بعد ذلك تحدث الإمام الغزالي عن حدوث العالم وصلته بالعلم الإلهي وأثبت بأن صفة علم الله* أزلية والعالم حادث ولا يصح أن يرتبط المعلول بالعلة والموجودات كلها ممكنة لله سبحانه وتعالى ودليل الإمكان يدل على حدوث العالم , وإن كان العالم حادثاً فله محدث فتلزم منه نتيجة وهو أن له محدثاً بالضرورة .

حدوث العالم عند الغزالي :-

سوف نتحدث عن مشكلة حدوث العالم عند الغزالي من خلال مصنفاته الفلسفية والدينية وبالرغم من عدم وجود مؤلفات مستقلة له في الفلسفة ولا سيما في حدوث العالم إلا أننا وجدنا عنده آراء فلسفية تعبر عن حدوث العالم وصلته بمفهوم العلم

ويسمى هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان وأنه وحده مرجع كل كون (رسالة التوحيد – الشيخ محمد عبده ص ٧ – دار النهضة للطباعة سنة ١٩٦٩ م.

* قيامه بذاته : يقال على واجب الوجود فهو الحق بذاته الواجب وجوده من ذاته وهو القيوم , ابن سينا الإشارات والتنبيهات ص١٤٠ .

- قيومية : تعني قيام الوجود بذاته أو وجوب وجوده وهذه الصفة خاصة بالله وحده لا يشاركه فيها كائن (المعجم الفلسفي يوسف كرم وآخرين ص ١٢٢ , ١٢٤) .

* علم الله أزلي :- شاهد حاضر وحفيظ عالم ، لا يغيب عنه شيء فعلى هذا هو من صفاته الأزلية التي استحقها لأجل علمه القديم ولم يزل شهيداً ، مصداقاً لقوله تعالى (فعلمه أحاط بالمعلومات كلها ، فعلى هذا التأويل يكون المحيط من أوصافه الأزلية ، لأنه لم يزل عالماً بالمعلومات كلها ودليل هذه الإحاطة قوله تعالى (وما يعزب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السموات) .

الإلهي , وقد استخدم الغزالي لإثبات حدوث العالم مفهوم الجوهر والعرض وكذلك المفاهيم الصحيحة لمدلول الزمان ووضح لنا بأن الزمان محدث وليس بقديم والله ليس متحيز ومنزه عن الجسمية ويتصف بالقدم وعدم الحدوث , وكل جسم مؤلف وكل مؤلف حادث فيلزم منه أن كل جسم حادث .

والحدوث عند الغزالي عبارة عن وجود الشيء بعد عدمه أما الحدوث الذاتي وهو كون الشيء مفتقراً في وجوده إلى الغير , وعندما ألف الغزالي كتاب المنقذ من الضلال شرح ذلك بالتفصيل .

وينقد الفلاسفة اليونانيين لقولهم بأن الجوهر والعرض غير متلازمان ولكن يقول الغزالي بأن الجوهر والعرض* متلازمان لا يتغيران أبداً ثم بعد ذلك يحدد خصائص كل من الجوهر والعرض ليصل إلى أن الجوهر متحيز , فلا يدله من جسم وبين لنا بأن الزمان محدث وليس بقديم , وأثبت بأن الله سبحانه وتعالى – ذاته – قدمه وعلمه قديم وأنه غني عن الألوان والروائح والطعوم ومنزه عن المكان والجهة ويؤكد الفيلسوف اليوناني أرسطو * على قدم العالم لأنه تحدث عن حركة الأفلاك في الكون بأنها حركة دائرية ليس لها بداية ولا نهاية وكل ما ليس له بداية أو نهاية فهو أزلي .

ويقول د. جميل صليبا في كتابه تاريخ الفلسفة العربية عن قدم العالم عند أرسطو (وإذا علمنا أن كل متحرك فهو متحرك بشيء آخر إما مباشرة وإما بواسطة وجب في كلا الحالتين أن ينتهي تسلسل الحركات إلى محرك أول يحرك الأشياء ولا يتحرك معها

---

* الجوهر والعرض :- هو ما سوى الله تعالى من الموجودات جواهر كانت أو أعراضاً ، فالجوهر ما له من قيام بذاته بمعنى أنه لا يقتصر إلى محل يقوم به ، وقد يعبر بعضهم بدل الجواهر بالأجسام وقد ظهر استحالة كونه جوهراً أو عرضاً أو جسماً إذ الحيز مختص بالجوهر والجسم . وأما العرض فلا إختصاص له بالحيز إلا بواسطة كونه حالاً في الجوهر فهو تابع لاختصاص الجوهر .

* أرسطو : فيلسوف يوناني وسمي المعلم الأول ولد في عام ٢٨٤ ق.م في مدينة ايطا نمو بشبه جزيرة خلقدونية وكان أبوه بنقوماخوس طبيباً لامتاس الثاني ملك مقدونيا , وأقام أرسطو بمدينة أسوس وظل ملازماً لاسكندر حتى توليه الحكم عام ٢٢٥ ق.م وله مؤلفات منطقية وطبيعية مثل الحس والمحسوس , الكون والفساد والآثار العلوية وفي الأخلاق والسياسة (الفلسفة عند اليونان , د. أميره حلمي مطر ص ٢٤٢ : ٢٤٩ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٨ م .

ومعنى ذلك كله أن الحركة أزلية لأن المحرك الأزلي أبدي *وهو العلة الأولى التي تحرك كل شيء وهو الموجود الدائم الثابت وهو الله.

ويستخدم الغزالي المنهج النقدي لنقد فلسفة أرسطو القائلة بقدم العالم وبالأخص في كتابه تهافت الفلاسفة تقول دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول (وكان فلاسفة الإسلام الآخرون بفلسفة أرسطو منذ عصر الكندي وما بعده يعتمدون في فلسفتهم على روايات تتفاوت صحة واضطراباً , وقد أنكر المسلمون على هذه الفلسفة وما فيها من زندقة وذلك لتعارضها مع عقيدتهم في ثلاث مسائل هي : خلق العالم والعناية الإلهية وبعث الأجسام ولعل الغزالي في كتابه (التهافت) هو أبلغ من كتب في نقص هذه الفلسفة في أسبابها , ويقول الغزالي : (ثم المترجمون لكلام (إيطاليين) لم ينفك كلا منهم عن تحريف وتبديل .

وعندما نقد الغزالي الفيلسوف اليوناني أرسطو يعرف لنا أولاً معنى حد الحادث فيقول : قيل في حد الحادث * أنه الذي ليس بقديم فهو هوس كقول القائل القديم الذي ليس بحادث فهو الضد ويدور الأمر فيه وقيل أنه الذي تتعلق به القدرة القديمة وهو ذكر لازم غامض لم يدرك إلا بالأدلة وأما الحادث فمفهوم جلي بغير نظير واستدلال ومن الضلال البعيد بيان الجلي بالغامض ويستدل الغزالي على حدوث العالم من خلال القرآن الكريم باعتباره فيلسوف إسلامي فيقول : نص في القرآن الكريم في آيات كثيرة على أن الله قد خلق *كل شيء ووضعه من أجل ذلك بأنه الخالق أو الخلاّق لقوله تعالى

---

* أبدي : الأبد في اللغة الدهر والدائم والقديم والأزلي والجمع آباد وأبود وهو في الاصطلاح الذي ليس ابتداء ولا انتهاء أو المدة التي يتوهم انتهاؤها بالفكر والتأمل أو الشيء الذي لا نهاية له , (المعجم الفلسفي د. جميل صيلبا الجزء الأول ص٢٩ دار الكتاب العالمي سنة ١٩٩٤ ١٤١٤ هـ .

* الحادث : (اسم مشترك بين الحادث بحسب الذات والحادث بحسب الزمان . فالحادث بحسب الزمان هو الذي الزمان وحده ابتداءً وبحسب الذات هو الذي لذاته مبدأ هي به موجودة . (الكائن بعد أن لم يكن) معيار العلوم في مقابلة (ضرورة امتناع) (المعجم الفلسفي يوسف كرم وآخرين ص ٦٠) .

* خلق : وهو إنشاء الشيء واختراعه وأحداثه من العدم إلى الوجود ، وهذا لا يكون إلا من الله عز وجل عند أهل الخلق ، وكل من الخلق والاختراع والإيجاد والإبداع خاص بالمولى عز وجل إلا أن الخلق هو الإيجاد مطلقاً والاختراع هو الإيجاد لا على مثال سابق فلذلك قال : خلق الخلق وأعمالهم لقوله تعالى [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ] (قواعد العقائد الغزالي هامش ص ٦٠) .

[ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ] الأنعام آية ١٥٢ .

ولقوله تعالى* [بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] الأنعام الآية ١٥١ .

وعلم الله أزلي واجبة الوجود يقول الغزالي : أنه يستحيل أن يكون المعلوم علة للعلم – فلأن الله تعالى – صفة أزلية واجبة الوجود وما كان كذلك يستحيل أن يكون معلول علة إذن صفة علم الله أزلية والعالم حادث , والأزلي الابتداء لوجود كما أنه تعالى كان عالماً في الأزل .

وبهذا يخالف الغزالي أرسطو لأنه يقول بأن الهيولي أزلية أبدية ، ولو كانت الهيولي حادثة تحدثت عن موضوع ولكنها هي موضوع تحدثه عن الأشياء وبحيث يلزم أن توجد قبل أن تحدث .

ومن أدلة حدوث العالم عند الغزالي هي ما يأتي :-

١. أبطال القول بقدم العالم وأحكام صفة الحدوث .
٢. عن طريق أن الله يعلم أن الجزئيات والكليات .
٣. أن الحادث قد ثبت حاجته إلى محدث .
٤. أبطال اللانهائية في الحدوث فإن العالم متناه واثبات صفة الجثمانية للحدوث .
٥. وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعته فالله قائم وقيوم وموجد .

ويجب أن نعلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له إلا إياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عاده مخلوقة له ، تصديقاً لقوله تعالى [اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] سورة الزمر آية ٦٢ ويتحدث الغزالي عن ماهية حدوث العالم بأنه خلق من العدم المحض (التساوي في

---

* الإبداع : في اللغة أحداث شيء على غير مثال سابق وعند البلغاء اشتمال الكلام على عدة ضروب من البديع وله في اصطلاح الفلاسفة عدة معان :- إيجاد الشيء من لا شيء كإبداع الباري سبحانه فهو ليس بتركيب ولا تأليف وإنما هو أخراج من العدم إلى الوجود فقالوا الإبداع إيجاد الشيء من لا شيء والخلق إيجاد شيء من شيء لذلك قال الله تعالى [بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ] المعجم الفلسفي د جميل صليبا ص٢١ .

الزمان والمكان فإنك تقول العالم حادث ، العالم ليس بحادث وهما صادقان ولكنه حادث عند أول حدوثه وليس بحادث قبله ولا بعده بل قبله معدوم وبعده باق وهو العدم المحض , ومن صفات العدم المحض : لا يوصف بأنه قديم ولا حادث ولا مشاهد ولا غائب .

المنهج النقدي عند الغزالي واستخدامه في نقد الأدلة الفلاسفة القائلين بقدم العالم :-

وقد تحدث الغزالي في المسألة رقم عشرة (إبطال قولهم : في أبدية العالم والزمان والحركة) .

مما سبق يتضح لنا أن الغزالي يقول بحدوث العالم وأنه مخلوق من العدم* المحض لكي ينزه الله تعالى عن كل عيب ونقصان وليس كمثله شيء* .

وينقد الغزالي الفيلسوف اليوناني أرسطو لأنه يقول بقدم العالم لذلك يقول : (الركن الأول من معرفة ذات الله ومداره على عشرة أصول وهي :- العلم بوجود الله تعالى ، وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وإنه سبحانه ليس مختصاً بجهة ولا مستقراً على مكان ويؤكد الغزالي على حدوث العالم في كتابه تهافت الفلاسفة فيقول : الدليل الأول يقول الفلاسفة يستحيل حدوث من قديم وذلك لأن ضرورة معناه تجدد مرجع أخرجه من حالة الإمكان الصرف إلى الوجود والقول يتجدد مرجع يقتضي السؤال عن لم وجد ؟ ومن أوجده ويفسر الغزالي قولهم بمرجع حيث يقول (أن العالم حدث بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ، وأن يستمر العدم إلى الغاية التي يستمر عليها ، وأن يبتدأ الوجود من حيث ابتدأ ، وأن الوجود قبله لم يكن مراداً فلم يحدث لذلك ، وأنه في وقته الذي حدث فيه مراد به الإرادة القديمة فحدث لذلك فما المانع من هذا الاعتقاد وما المحيل له ، ثم يقول الغزالي مدللاً على صدور

---

* العدم المحض : الخالصة من غير أن يشوبه شيء آخر سواه ، والعدم يقابل الوجود كما أن العدمي يقابل الوجودي ، والعدم مطلق ، فالبالغ من النقص غايته فهو المنتهى إلى مطلق العدم ، فالحري أن يطلق عليه معنى العدم المطلق ، ووجود العدم هو خروج بالقوة إلى الفعل .د عبد المنعم الحفني المعجم الفلسفي ص٦٠٦ .

* ليس كمثله شيء :- معتقد أهل الحق أن الباري لا يشبه شيئاً عن جميع المخلوقات ولا يماثله شيء في الكائنات بل هو بذاته منفرد عن جميع المخلوقات وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا تحله الكائنات ولا تمازجه الحادثات ولا له مكان يحويه ولا زمان هو فيه ، (موسوعة علم الكلام الإسلامي د. سميع درغيم – الجزء الثاني ص١١١٩ – لبنان ، الطبعة الأولي سنة ١٩٩٨ .

الحادث عن القدم مخالفاً في ذلك الفيلسوف الإسلامي ابن سينا إن في العالم حوادث ولها أسباب ، فإن استندت الحوادث إلى الحوادث إلى غير نهاية ... فهو محال هذا فيما يتعلق بالدليل الأول أما الدليل الثاني فيحدث عن الزمان والحركة فيقوم الذي قدمه الفلاسفة فيقول على القول بقدم الزمان وقدم الحركة أما الغزالي فيرى عكس ذلك تماماً لأن الزمان عنده حادث مخلوق وليس قبله زمان أصلاً ، ومعنى قولنا أن الله متقدم على العالم والزمان أنه سبحانه وتعالى كان لا عالم ثم كان معه عالم .

أما الزمان الذي قال به الفلاسفة فهو غلط الوهم لأن الوهم يعجز عن تصور وجود مبدأ إلا مع تقدير قبل له . وهو كذلك يعجز عن تصور تناهي الجسم ، فيتوهم أن وراء العالم شيئاً ما خلاء وأما ملاء والغزالي يعتمد في نفيه لتقدير شيء ممتد (وهو الزمان) على مقابلة الزمان بالمكان لإثبات تناهي الزمان والحادث قبل حدوثه لا يخلو أما أن يكون ممكن الوجود أو ممتنع الوجود , وأن ما ذكروه في تقدير الإمكانيات لا مضي له وإنما مسلم أن الله تعالى قديم قادر لا يمتنع عليه الفعل أبداً , إن أراده وليس في هذا القدر ما يوجب إثبات زمان ممتد إلا أن يضيف الوهم بتلبسه إليه شيئاً آخر .

مفهوم صفة العلم الإلهي عند الفلاسفة القدماء :-

أولاً : في شرح قولهم أن البارئ تعالى لا يعرف إلا نفسه :-

هذا القول – عصمنا الله وإياك من الزلل – أوهم كثيراً من الناس أنهم أرادوا به أنه غير عالم بغيره , واستعظم قوم منهم أن يصفوه بهذه الصفة فزعموا أنه عالم بالكليات غير عالم بالجزئيات , وزعم آخرون أنه يعلم الكليات والجزئيات بعلم كلي , وهذا القول الثالث أقرب أقوالهم إلى الحق وإن كان فيه موضع للتعقيب.

أما الأولان الآخران فقد اجتمع فيهما الخطأ الفاحش والجهل في صفات الله تعالى بسوء التأويل لكلام القدماء من الفلاسفة .

أما قولهم أن البارئ لا يعلم إلا نفسه فيحتمل أربع معان يقرب بعضها من بعض :

أحدهما أن الوجود نوعان : وجود مطلق , ووجود مضاف . فالوجود المطلق هو الذي لا يفتقر إلى موجود ولا هو معلول لعلة هي أقدم منه , والوجود المضاف هو الذي يفتقر إلى موجد كأن علة له . فالوجود المطلق : هو الوجود الذي يوصف به

البارئ جل جلاله لأنه الوجود المطلق الذي لا علة لوجوده والوجود المضاف : هو الذي يوصف به سواه من الموجودات .

ثانياً : صفة العلم الإلهي عند أفلاطون * :-

يتمسك أفلاطون دائماً بنظرية المثل حيث يقول (في كتابه طيماوس أن العوالم العالية لها أفضال كثيرة , وهذا ليس لنا في عالمنا هذا . بل عسى أنا في العوالم العالية إذ نحن تهذبنا فجزنا الأفلاك التسعة وحركاتها بتطلعنا وجزنا عالم النفس فهذبنا حتى نحل في عالم العقل الذي لا تخفى عنه خافية ولا تجوز عنه صورة , ومنه انتشاق الصورة وليس فيه زمان ولا مكان ولا حركة ولا كيفية ولا هيولي بل الأشياء فيه حقائق مجردة مكشوفة ليس قوة بل الصورة فيه ثابتة وراجعه على أنفسنا وذواتها تعرف أنفسها وغيرها لما فيه من مطاعة البارئ – عز وجل – لها .

- ما هو أصل المعرفة وما هي قيمتها عند أفلاطون ؟

يقول د/ جميل صليبا في كتابه تاريخ الفلسفة العربية : المعرفة الحق عند أفلاطون هي معرفة المثل لأن المثل هي الحقائق الثابتة وإذا كانت موجودة فوق هذا العالم المحسوس وكانت الجزئيات الحسية لا تشاركها إلا في بعض جوانبها كانت المعرفة الحاصلة للعقل من تأمل المثل أعلى من المعرفة الحسية .

ثالثا : مفهوم صفة العلم الإلهي عند أرسطو :-

نلاحظ أن هناك اختلاف في معرفة العلم الإلهي في العصور الوسطى وعند أرسطو والدليل : ولئن حاول رجال العصور الوسطى أن يفسروا علم الله بالأشياء عن طريق علمه بذاته لأنها علتها جميعاً إلا أن أرسطو كان واضحاً في هذه النقطة لأنه فرق بين احتماليين معرفة الله بذاته أو معرفته بالأشياء واختار الافتراض الأول منها .

---

* أفلاطون : عاصر أفلاطون فترة عصيبة من فترات حياة أثينا السياسية . إذ ولد في السنة الأولى من الألمبياد الثامن والثمانين ٨٨ في تقدير علماء الإسكندرية أي عام ٤٢٨ ق.م وهو فيلسوف يوناني من أسرة ارستقراطية له مصنفات فلسفية مثل كتاب الجمهورية ومحاورات فلسفية . (الفلسفة عن اليونان د. أميره حلمي مطر ص ١٦١ : ١٦٧ .

إذن أرسطو ينفي الفعل الإرادي لله بما ذهب إليه من قدم العالم وصدوره عن الله صدور المعلول عن علته – فلا يمكنهم إثبات العلم لله تعالى .

رابعا : الكندي* فيلسوف العرب الأول :-

من الجدير بالذكر بأن الغزالي لم ينقذ الكندي كما نقد الفارابي وابن سينا لأنه يقول بحدوث العالم ويثبت حدوث الزمان والحركة والجرم والمادة حادثة من نظرة واثبت خلق الله للعالم من العدم وأن الله وتعالى يدبر العالم ويعتني به لذلك يعلم جميع الكليات والجزئيات .

والكندي يجكم نزعته العربية الواقعية لا ترضية ضروب الخيال الموجود عند أفلاطون وأرسطو .

ويستمر الكندي في توضيح الفروق بين العلم الكسبي والعلم الإلهي وكذلك الفرق بين علم الفلاسفة وعلم الأنباء ليثبت أن الله يعلم جميع الممكنات والكليات والجزئيات مثل الفرابي تماماً .

***صفة**

خامسا : الفارابي *:-

كان الفارابي يعيش في عالم العقل ابتغاء للخلود وكان ملكاً في عالم العقل (ت : ج : دي يور) وموقف الغزالي من الفارابي وفلسفته الإلهية وجهة إليه النقد الشديد لأنه يتمسك بفلسفة أفلاطون وأرسطو ، ويهمنا على الخصوص : أن نتحدث عن رأي الفارابي في صفة العلم فإن هذه الصفة قد أثارت خصومة عنيفة لأنه يقول أن الله يعلم الكليات دون الجزئيات يقول الفارابي (في كتابه الخصوص : علمه الأول لذاته لا

---

* الكندي :- هو أبو يوسف إسحاق الكندي : لقبه فيلسوف العرب ولد سنة ١٨٥ ه في الكوفة من عائلة عريقة من قبيلة كندة ، والده كان أميراً على الكوفة ، قدم إلى بغداد وحظي برعاية المأمون العباسي والمعتصم ، اهتم بالرياضات والمنطق والعلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والموسيقى مات سنة ٢٦٠ ه في بغداد من تلاميذه الأفلاطونية المحدثة (فيلسوف العرب الشيخ مصطفى عبد الرازق , ص ١٥) .

* الفارابي :- هو أبو نصر محمد بن طرفان ، ولد في قرية (وسيج) بالقرب من (فاراب) التركية ٢٥٩ ه وتوفى في دمشق ٢٢٩ ه ووالده كان قائداً في البلاط التركي ، حمل لقب المعلم الثاني من اشهر مؤلفاته : الجمع بين رأي الحكمين ، ورسالة فصوص الحكم ، آراء أهل المدينة الفاصلة والموسيقى الكبير . (عيون الأنباء في طبقات الأطباء أبي أصيبعه , ط ٢ .

ينقسم وعلمه الثاني عن ذاته إذا تكثر لا تكن الكثرة في ذاته بل بعد ذاته ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها من هناك يجري القلم في اللوح المحفوظ جرياناً متناهياً إلى يوم القيامة) ويقول الفارابي (أن الغاية الكلية في الجزئيات وأن كل شيء من أجزاء العالم وأحواله موضوع بأوفق المواضع وأتقنها على ما يدل عليه كتب التشريحات .

***صفة العلم الالهي عند ابن سينا :-**

سادسا : ابن سينا *:- يقول ابن سينا بأن علم الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات لذلك نقده الغزالي , فيقول : الأول موجود لا في المادة . إن كان المعنى به أنه ليس بجسم ولا نطبع في جسم فهم مسلم , فيبقى قولكم وما هذه صفته فهو عقل مجرد فماذا يعني بالعقل , إن عنى به أنه يعقل سائر الأشياء فهو نفس المطلوب .

مفهوم صفة العلم الإلهي عند الغزالي :-

رأى الغزالي أن يكون الكلام في هذه المسألة على مراحل ثلاث :-

أ- مناقشة ابن سينا في أن الله يعلم ذاته وغيره .

ب- تعجيز الفلاسفة عن إثبات أن الله يعرف ذاته حسب مذهبهم في كيفية صدور العالم عنه .

ج- أبطال قولهم بأن الله لا يعلم الجزئيات .

ينتقد الغزالي ابن سينا في مسالة العلم الإلهي :-

فيقول (أما ادعاء ابن سينا أن الله عقلٌ محض فمن الضروري والبديهي* أن العقل* غيره لأن المادة هي التي تمنع من إدراك الأشياء فليس بديهياً و إلا لما خالفه الفرابي قبله فيه ثم بعد هذا لا دليل عليه .

---

* ابن سينا :- هو أبو على سينا : الشيخ الرئيس ولد في (أفشنة) قرب بخاري سنة ٢٧٠ ه والده كان من دعاء الحكم بأمر الله القاضي المنظم فيلسوف وطبيب ، ألف القانون في الطب وغيرها من المؤلفات الفلسفية , (دائرة المعارف الإسلامية ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرين , المجلد الأول , ص ٢٠٣ .

* البديهيات (البديهي) هو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب سواء احتياج إلى شيء آخر من جذب أو تجزئة أو غير ذلك أو لم يحتج فيرادف الضروري ، المعجم الفلسفي يوسف كرم ص٢٠ .

* العقل :- جوهر مجرد عن المادة في ذاته ما قرن لها في فعله (ما يعقل به من حقائق الأشياء قبل الرأس وقيل محله القلب) الجرجاني – التعريفات ص١٢٦ .

ويقرر الغزالي أنه حتى ما ذهب إليه ابن سينا من أن الله يعلم ذاته وغيره أيضاً ولكن بنوع كلي فيه استئصال للشرائع الكلية ، فإن هذا يئول إلى أنه تعالى يعلم الأسباب التي تكون عنها أشياء هذا العالم وأحواله ولكنه لا يعلم الأمور الجزئية مثل طاعة هذا الإنسان أو عصيانه وإيمانه أو كفره .

ويذكر لنا الغزالي السبب الذي جعل ابن سينا يقول بهذا أنهم يرون أن اختلاف العلم يوجب التغير في العالم وهذا ما لا يصلح في حق الله سبحانه وتعالى.

***صفات الله عند الغزالي خمسة** : معنوية وذاتية وسلبية وفعلية ويهمنا المعنوية لأنها تشمل العلمي الإلهي .

الصفات المعنوية عند الغزالي :-

يقسم الغزالي الصفات المعنوية إلى سبعة وهي :- العلم – الكلام القديم – الإرادة – القدرة – السمع – البصر – الحياة .

ومعرفة هذه الصفات الغرض منها التنزيه* لله سبحانه وتعالى حيث يقول :-

وأما معرفة الصفات فأن تعرف أن الله تعالى حيٌّ عالم قادر سميع بصير إلى غير ذلك من الصفات فإن قيل ما سر المعرفة يقال سرها وروحها التوحيد وذلك بأن تنزّه حياته وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه عن التشبيه بصفات الخلق .

أحكام صفة العلم الالهي عند الغزالي :-

يقول : تنقسم إلي ما يجب و يستحيل و يجوز عليه سبحانه و تعالي و يجب توحيد الله في ذاته و توحيد في صفاته و توحيد في أفعاله فهذه الشعب حفر الله علي عبارة . ومن الجديد بالذكر باب صفة العلم الإلهي عن الغزالي إلي تختلف تماما عن أقوال الفلاسفة القدماء و ابن سنيا الغد لون الآلام حيث أن الله يعلم العليات و الجزئيات ويفند آرائهم بقوله : وانه عالم بجميع المعلومات محيط علمه بعل شيء و بجميع الموجودات و إن صفاته تعالي و اجبه الوجود أزلية أبدية عامة التعلق فيتعلق عله بجميع الجزئيات

---

* التنزيه :- هو تبرئة الله عز وجل عما لا يليق بجلاله وقدسه من كل عيب ونقص ومن كل صفة لا كمال فيها ولا نقصان وليس بجسم ماله طول وعرض وعمق ولا جوهر .. لأن الجوهر هو الجزء الذي لا ينقسم وهو أصل الشيء . وما يتركب منه الجسم ، الغزالي قواعد العقائد ص٥١ .

والعليات وعلمه متعلق . بجميع الموجودات وعلم اله شمائل لعـل المعلومـات لـذلك استحق العبادة و التنزيه و التوحيد .

التواجد المطلق لله سبحانه وتعالي حيث يقول الغزالي :-

يجب توحيد تعالي باستحقاق العبادة الإلهية وعموم تعلق صفاته تعالى فيتعلق علمه بجميع المعلومات , وصفة العلم من الصفات الوجودية التي تعد كمـالاً فـي الوجـود والبداهة تقتضي ذلك بأن العلم لله سبحانه وتعالى محيط بكل شيء عليم فلا حاجة إلـى الترديد الذي لا يحسن إلا في مواطن الشك .

وباعتبار الإمام الغزالي سنى وأشعري* يستدل على ذلك بالآيات القرآنيـة لأنهـا الدليل القاطع والصادق لكل إنسان لذلك يقول في كتابه قواعد العقائد : العلم بأنه تعالى محيط بكل شيء وعالم بجميع الموجودات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فـي الأرض ولا في السماء صادق في قوله (وهو بكل شيء عليم) سورة الأنعام آية ١٠١ ومرشد إلى صدقه بقول تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) سورة الملك : آية ١٤ أرشد إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأن لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف , على علم الصانع بكيفيـة الترتيـب والترصيف مما سبق يتضح لنا أن الإمام الغزالي نقد أقوال الفلاسفة القدماء ومن بينهم أرسطو الفيلسوف اليوناني المشهور وأبطل الغزالي نظرية أرسـطو فـي الجـواهر وبالأخص الجوهر الفرد وهي عبارة عن : الجوهر عند أرسطو يطلق على كـل ذات ليست موضوع أما العرض فيطلق على كل ذات قوامها في موضوع , والجواهر *في

---

* نشأت مدرسة الأشعرية في القرن الرابع الهجري وقد أسسها أبو الحسن الأشعري وتلاميذه وظلت هذه الحركة مهيمنة على الدين الإسلامي السني , ورجال الأشعرية هم باتلاس السمعاني الغزالي فخر الدين الرازي – الجرجاني – الجويني * الشهرستاني .

* الجوهر الفرد : الجزء الذي لا يتجزأ أجوهر ذو وضع لا يقبل الإنقسام أصلاً لا بحسب الخارج ولا بحسب الوهم أو الغرض العقلي تتألف الأجسام من أفراده بانضمام بعضها إلى بعض كما هو مذهب المتكلمين .

وقالو أيضاً الجوهر الفرد والآن يقال ذرة , وشئل الشيخ محمد عبده في الدرس : هل يصدق ذلك بالجوهر الفرد بهذا بالمعنى الذي يقولونه وهو أنه لا يقبل القسمة فعلاً ولا عقلاً ولا هماً ؟ فقال : إن الجوهر الفرد بهذا المعنى لا حقيقة له ونحن نحمل كلام من يقول بالجوهر الفرد على الجزء الذي لا ينقسم مثلاً لشدة صغره والموضوع كله من نظريات الفلسفة القديمة الباطلة . (المعجم الفلسفي , يوسف كرم وآخرين ص ٥٥ . رسالة التوحيد : الشيخ محمد عبده ص ٣١) .

نظر أرسطو كائنات جزئية مفردة وإنه لا حاجة إلى القول أن هناك عالماً مثالياً موازياً للعالم الحي فيه من الجواهر المفارقة عدد لعدد الجواهر الموجودة في العالم الحقيقي .

لذلك يقول الإمام الغزالي (إن كل حادث في العالم فهو فعل الله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته .

موقف الامام الغزالي من الفلاسفة في مسألة علم الله بالكليات والجزئيات: -

ويؤكد الإمام الغزالي على مخالفته لأقوال الفلاسفة لقولهم بأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات وإن دل على شيء فإنما يدل على إبداع الغزالي ونقده المنهجي للفلاسفة في كتابه تهافت الفلاسفة حيث يقول (أنه سبحانه وتعالى عالم بكل المعلومات من الكليات والجزئيات والموجودات والمعدومات والغائبات والحاضرات والمتغيرات والمفارقات والدليل عليه : هو أنه لو كان عالماً بالبعض دون البعض لكان عالميته بذلك البعض دون غيره بتخصيص مخصص وذلك المخصص يجعله عالماً بذلك البعض وكل ما كان كذلك فهو عاجز وليس له صلاحية الإلهية , فثبت أن الصانع العالم عالم بجملة المعلومات غير المتناهية .

أهم مميزات صفة العلم الالهي عند الغزالي : -

أولا : القدم : -

وصفه العلم الإلهي التي تتميز بالقدم * تتفق مع وجود الله الأزلي الأبدي يقول الإمام الغزالي (أنه علمه قديم , فلم يزل عالماً بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقات ومهما حدثت المخلوقات ولم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلي إذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام علم تقديراً حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوماً لنا بذلك من غير تجدد وعلم آخر فهكذا ينبغي أن يفهم قدم علم الله تعالى .

* القدم : قدم العلم الإلهي لأن هذه الصفة تتعلق بكل واجب وكل مستحيل وكل جائز , وهي صفة أزلية لها تعلق بالشيء على وجه الإحاطة به على ما هو عليه دون سبق خفاء وعالم بجميع المعلومات موجوداً كان ذلك المعلوم أو معدوماً محالاً كان أو ممكناً , قديماً كان أو حادثاً , متناهياً أو غير متناه جزئياً كان أو كلياً مركباً كان أو بسيطاً .

إذن صفاته تعالى واجبة الوجود أزلية أبدية عامة التعلق فيتعلق علمه بجميع الجزئيات والكليات وعلمه متعلق بجميع الموجودات .

ثانياً : عدم تشبيه علم الله سبحانه وتعالى بعلم الإنسان:-

يقول الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين الجزء الرابع : أما العلم فأين علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل إحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ؟ وقد خاطب الخلق كلهم فقال عز وجل : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) الإسراء ٨٥ بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة أو بعوضة لم يطلعوا على عشر ذلك (ولا يحيطوا بشيء من علمه إلا بما شاء) البقرة إذن علم الله هو سبب وجود الموجودات وعلم الإنسان محلول عنها , وأن علم الله لا يصح وصفه بأنه كلي أو جزئي . ومن فهم هذه التفرقة بين علم الله وعلم الإنسان فهم معنى قوله تعالى : [وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ] سورة سبأ : ٣ .

موقف الغزالي من علم الانسان وعلم الله تعالي :-

ويفسر لنا الغزالي علم الإنسان بالنسبة إلى علم الله تعالى لإعطاء صفة التنزيه والقدر لله حيث يقول (والقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم فيتعلمه علموه , كما قال تعالى : (خلق الإنسان علمه البيان) الرحمن ٣ , ٤ فإن جمال العلم وشرفه أمراً محبوباً وكان هو في نفسه زينة وكمالاً للموصوف به فلا ينبغي أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى , فعلوم العلماء جهل بالإضافة إلى علمه . بل من عرف أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحالة أن يحب بسبب العلم الأجهل ويترك الأعلم .

مما سبق يتبين لنا أن علم الإنسان يناهي أما علم الله لا يتناهى وله صفة القدم , وعلمه تعالى محيط بما لا يتناهى ولا يتوقف وصفه تعالى .

ثالثاً : العلاقة وثيقة بين صفة العلم الإلهي والحياة * :

---

* الحياة : فهو سبحانه : حي بحياة هي صفة أزلية له لا يجوز عدمها ولا زال حياً أبداً , وأراد تعالى حدوث كل ما علم حدوثه على الوجه الذي علم حدوثه عليه .

ويسترشد الغزالي على ذلك من خلال مصنوعات الله سبحانه وتعالى فيقول في كتابه القسطاس المستقيم (إن كان صفة العالم وتركيب الآدمي مرتباً عجيباً محكماً فصانعه عالم وهذا في العقل أولى ومعلوم أنه عجيب مرتب وهذا مدرك بالعيان فيلزم منه أن صانعه عالم ثم نترقى ونقول : إن كان صانعه عالماً فهو حي ومعلوم أنه عالم بالميزان الأول فيلزم أنه حي .

وينفي الغزالي صفة العرض بالنسبة للعلم الإلهي لأن العرض يزول من وقت لآخر أما صفة العلم الإلهي فهي قديمة وثابتة يقول الغزالي إن كان حياً عالماً فهو قائم بنفسه وليس بعرض ومعلوم بالميزانين السابقين أنه حي عالم فيلزم منه أنه قائم بنفسه فكذلك نعرج من صفة تركيب الآدمي إلى صفة صانعه وهو العلم ثم نعرج من العلم إلى الحياة ثم منها إلى الذات وهذا هو المعراج الروحاني .إذا علم الواجب من لوازم وجوده فلا يفتقر إلى شيء ما وراء ذاته فهو أزلي أبدي غني عن الآلات وجولات الفكر وأفاعيل النظر فيخالف علوم الممكنات بالضرورة .

وفي المسألة إحدى وعشرون في إبطال قولهم : ((إن الله – تعالى عن قولهم – لا يعلم الجزئيات المنقسمة بانقسام الزمان : إلى الكائن , وما كان وما يكون)) وخلاصة مذهبهم في ذلك : أن الواقع متغير والعلم بالشيء المتغير متغير , والتغير على الله محال ... لهذا كان علمه بالواقع لا من حيث إنه متغير بل من جهة ثباته واستقراره (الإشارات لابن سينا) .

قال الغزالي : هذه قاعدة استأصلوا بها الشرائع بالكلية ... ويقول أيضاً : ما المانع من أن يكون لله تعالى علم واحد بالشيء يشمل أحواله الماضية والراهنة والمستقبلة وبذلك يكون الله عالماً بالشيء ما في جميع أحواله .

رابعاً : مفهوم صفة العلم الإلهي بالنسبة لمسألة التأويل * عند الغزالي :

---

* التأويل : في الأصل الترجيع وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً بالكتاب والسنة مثل قوله يخرج الحي من الميت إن إرادته إخراج الطير من البيضة , كان تفسيراً (الجرجاني – التعريفات ص٤٢) .

- التأويل مشتق من الأصل وهو في اللغة الترجيع تقول أوّله رجعه وقال ابن رشد التأويل إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز أو مقارنة أو غير ذلك . (المعجم الفلسفي – جميل صليبا ص٢٢٤) .

يقول الله تعالى [خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا].

هذه أمور لا يعلم تأويلها* إلا الله والراسخون في العلم وميز ابن عباس رضي الله عنهما على اختصاص الراسخون في العلم بعلوم لا يحتملها إفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى [يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ] فقال : لو ذكرت ما اعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني وفي لفظ آخر : لقلتم إنه كافر .

إذن علم الله سبحانه وتعالى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والأرض تحركت أو سكنت ، وعلم الواجب ن لوازم وجوده كما ترى فيعلو على العلوم علو وجوده عن الموجودات فلا يتصور في العلوم ما هو أعلى منه ، فيكون محيطاً وبكل* ما يمكن علمه و إلا تصور العقل علماً أشمل ، وهو إنما يكون لوجود أكمل وهو محال .

ويقول الغزالي رداً على فلاسفة الإسلام الذين استبعدوا علم الله بالجزئيات : عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري في تخوم الارضين إلى أعلى السماوات ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء* ويدرك حركة الذر في الهواء ، ويعلم السر* وأخفى

---

* التأويل : في رأي رجال السلف الإسلامي هو التفسير وبيان المراد في النص القرآني أو الحديثي وبهذا المعنى : ورد كثير من القرآن نفسه ، وهو التأويل المقبول ، ويقال هذا المعنى : إن الصحابة والتابعين كانوا يعرفون تأويل القرآن الذي فسروه كله ، ومن ثم قال الحسن البصري من التابعين ، ما أنزل الله آية إلا وهو يجب أن يعلم ما أريد بها ، (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، على هامش كتاب منهاج السنة النبوية، طبع بولاق سنة ١٢٦١ هـ ص١١٠ : ١٢٠ .

* محيطاً بعل ما يمكن علمه : مصداقاً لقوله تعالى : [وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا] فعلمه أحاط بالمعلومات كلها ، فعلى هذا التأويل يكون المحيط من أوصافه الأزلية لأنه لم يزل عالماً بالمعلومات كلها ودليل هذه الإحاطة قوله تعالى [وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ] .

* الليلة الظلماء : وكيف وهو خالقها إلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ووابرا هذه الأوصاف تنبيها على كمال الدقة والخفاء .

* يعلم السر : وما أخفى من السر وهو ما يطرأ وجوده في ضمير صاحبه ، فيعلمه قبل أن يقع بخاطر صاحبه .

، ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الأزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالتحول* والانتقال .

ويوضح الغزالي رأي الفلاسفة كمثال كسوف الشمس ... والنتيجة هي أن الله يعلم الكسوف وجميع صفاته وعوارضه وهو علم يتصف به الله في الأزل والأبد لا يختلف ولا يتغير .

موقف ابن رشيد ** من الغزالي في مسألة العلم الإلهي :-

يقول الدكتور عبد الحليم محمود : فإن هذه الصفة قد أثارت خصومة عنيفة بين رجال الدين ورجال الفلسفة ومن مظاهرها هذا النزاع على تحديدها حدث بين الغزالي وابن رشد ، لقد جعلها الغزالي : من المسائل التي كفر بها الفلاسفة ، إذ يقولون - حسبما يرى – بعلم الله بالكليات وينكرون علمه بالجزئيات .

ويعتبر ابن رشد من أبرز الفلاسفة المسلمين الذين استطاعوا أن يتركوا بصمات واضحة في مجال العلوم الدينية وغير الدينية ليس على الفكر العربي والإسلامي وحده ، بل على العالم الغربي .

وألف الفيلسوف ابن رشد كتابه التهافت لكي يرد على الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة حيث يقول : ولذلك كان كتابنا هذا الغرض منه إنما هو التوفيق على مقدار الأقاويل المكتوبة فيه ، والمنسوبة للفريقين وإظهار رأي القولين أحق ما ينسب صاحبه إلى التهافت والتناقض ويوجه النقد الشديد للغزالي من أجل عنوان كتابه تهافت الفلاسفة

---

* كما ذهب إليه جهم بن صفوان والرافضة ، بقولهم أنه عالم بعلم ، قائم لا في محل وهو مع ذلك متجدد بتجدد الحادثات متعدد بتعدد الكائنات ، غاية المرام في علم الكلام – الآمدي ص٧٥ .

* ابن رشد : ت (٥٢٠ هـ - ١١٢٦ م) (٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م) .

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ولد سنة ٥٢٠ في قرطبة , والده وجده كانا من شهير القضاة تعلم الفقه والشعر والطب والفلك والرياضيات والفلسفة , انتقل إلى مراكش سنة ٥٤٨ هـ وفي سنة ٥٦٥ هـ صار قاضياً على اشبيلية عرف بأنه شارح أرسطو ومفسراً له ومنهجه في التفسير يأتي فيض أرسطو فقرة بحروفها ثم يأخذ في تفسير عبارات هذه الفقرة عبارة عبارة وترك لنا مصنفات كثيرة منها (فضل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من الإتصال) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة مسألة في ضميمة العلم الإلهي – الكليات في الطب – بداية المجتهد ونهاية المقتصد –له شروح كثيرة لأرسطو مثل شرح السماع الطبيعي – أسماء والعالم – شرح الكون والفساد – شرح الآثار العلوية وغيرها ....(دائرة المعارف الاسلامية المجلد الاول ص ١٦٦)

فيقول : وكان أحق الأسماء بهذا الكتاب كتاب التهافت المطلق وتهافت أبـــي حامـــد لا تهافت الفلاسفة .

ويقول أيضاً : إنما قاله لئلا يظن به أنه يقصد نصره مذهب الأشعرية والظـــاهر من الكتب المنسوبة إليه أنه راجع إلى العلوم الإلهية إلى مذهب الفلاسفة ويقـــول ابـــن رشد (ذلك أن علمه هو سبب الوجود والموجود سبب لعلمنا فعلمه سبحانه لا يتـــصف بالكلي ولا بالجزئي* لأن الذي علمه كلي فهو عالم بالجزئيات التي هي بالفعل بالقوة) .

ويستخدم ابن رشد التأويل لكي يدافع عن الفارابي وابن سينا من هجوم الغزالـــي عليهما : فيقول (فلما ثبت حق التأويل لأهل البرهان كيف يقطع إذا الغزالـــي بتكفيـــر الفارابي وابن سينا في كتابه (التهافت) في ثلاث مسائل اجتهدوا فيها ، وهي قـــولهم بقدم العالم ، وبأن الله لا يعلم الجزئيات ، وتأويلهم مسألة الحشر للأجساد وأحوال المعاد ؟

ويلاحظ ابن رشد أن تكفير الغزالي للفارابي وابن سينا لـــم يكـــن قطعـــاً ، لأن الغزالي صرح في كتابه (التفرقة) أن التكفير يخرق الإجماع فيه احتمال .

ومن الجدير بالذكر أن ابن رشد يبدأ بمسألة علم الله ، وتتميز طريقة ابن رشد في الرد على الغزالي بتحليله المسألة تحليلاً منطقياً واضحاً مبني على تعريف الألفاظ أولاً ثم على تطبيق هذا التعريف على ما هو متنـــازع عليـــه أو غـــامض بـــين الطـــرفين المتخاصمين .

منهج ابن رشد في العقائد الإلهية :-

لكي يحدد ابن رشد الأصول والقواعد التي تتبع في مجرى العقائد الإلهية يقول : وأنا أذكر من ذلك ما يجري مجرى العقائد الواجبة في الشرع التي لا يتم الإيمـــان إلا بها وأتحرى في ذلك كله مقصد الشارع صلى الله عليه وسلم دون ما جعل أصلاً فـــي الشرع وعقيدة من عقائده من قبل التأويل التي ليس بصحيح .

---

* لا يتصف بالكلي ولا بالجزئي : لذا فهو ينتقد المتكلمين والمشائين معاً ، إذ أنهم نزّهوا الله عن الصفات الإنسانية ، راحوا يقايسون العقل في الشاهد بالعقل بالغائب .

لذلك وجه النقد إلى ابي حامد لإخلاله هنا بالشريعة حيث يقول : أما إخلاله بالشريعة فمن جهة إفصاحه فيها بالتأويل الذي لا يجدر الإفصاح بها إلا في كتب البرهان , وفضل القدماء كبير ... وعن الغزالي كذلك يقول ابن رشد : والذي حكاه عن صفة إيمان من اتبع الشرع في هذه الأشياء هو الذي يقوله محققو الفلاسفة , لأن قول من قال : إن علم الله وصفاته لاتكيف ولا تقاس بصفات المخلوقين ... هو قول المحققين من الفلاسفة .

لذلك يقول ابن رشد في كتابه في بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، وليس قصدنا تفصيل المذهب ولا تخريجه وإنما الغرض الإشارة إلى قواعد المسائل وأصولها .

ويوضح لنا ابن رشد مقصد الشرع حيث يقول : وينبغي أن تعلم أن مقصود الشرع إنما هو تعليم العلم الحق والعمل الحق ، والعلم الحق هو معرفة الله تبارك وتعالى وسائر الموجودات على ماهية عليه وبخاصة الشريفة منها ومعرفة السعادة الأخروية والشقاء الأخروي , فإذن اللذات العقلية الأخروية أفضل من اللذات الجسمية الدنيوية .

ويتميز منهج الشرع عند ابن رشد بالموضوعية العلمية ومن أجل ذلك شهد له علماء أوروبا فيقول كارادي فو تعليق على مادة ابن رشد الكلامية : فلسفة ابن رشد غنية جداً يصعب على الناظر جمع عناصرها في مقال واحد .

وبالرغم من أن ابن رشد اهتم بمؤلفات ارسطو الفيلسوف اليوناني سواء عن طريق التفسير والشرح والتلخيص إلا أنه فيلسوف إسلامي نبع من بيئة إسلامية والدليل على ذلك قوله (وأتحرى في ذلك مقصد الشارع صلى الله عليه وسلم بحسب الجهد والاستطاعة) , والنافع من جملته العلوم العقلية المحضة وهي العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وكتبه وكيفية وجود الأشياء منه .

مفهوم العلم الإلهي عند ابن رشد :-

يستخدم ابن رشد المنهج المقارن لكي يميز بين علم الله سبحانه وتعالى وعلم الإنسان بالأشياء فيقول (ففي مسألة علم الله يجب التمييز بين علمنا بالأشياء وعلم الله بها لأن علمنا معلول بالأشياء المعلولة ، أي أن وجود هذه الاشياء سابق على علمنا

بها . بينما علم الله هو علة لها ، والمعنى أنه سبحانه وتعالى يعلمها قبل وجودها ووجودها متعلق بعلمه بها .

فلا يمكن إذا تشبيه علمنا بعلم الله ، وليس هناك الاسم (العلم) فقط المشترك بين الاثنين , والعلم الإلهي لا يصدق عليه ما يصدق علم البشري .

وبخصوص علم الله بالجزئيات يقول ابن رشد : أن الجزئي متضمن في الكلي ، والدليل على ذلك أن الرؤية الصادقة تتضمن الإنذارات بالجزئيات التي ستحدث في الزمان ومثل هذه الإنذارات تحدث للإنسان من قبل العلم الأزلي ، فيكفي الله أن يعلم الكلي إذن الكلي يتضمن الجزئي .

ويبين لنا ابن رشد الاختلاف الظاهر بين علمنا وعلم الله فيقول : أن علمنا يبدأ بالجزئي ثم يتدرج ويرتقي نحو الكلي بينما الأمر خلاف ذلك في علم الله إذ أن علمه كلي وقديم والجزئي معلول له , والإدراكات كلها إن كانت لنقص في الآدمي فالبارئ منزه عنها , وأن علمه ليس يقتسم فيه الصدق والكذب المتقابلات التي تقتسم الصدق والكذب على علم الإنسان .

ضميمة العلم الإلهي عند ابن رشد :-

هذه الضميمة هي توضيح لمسألة علم الله التي وردت في كتاب (فصل المقال) والنقطة المهمة في هذه المسألة هي الآتية :-

كيف يكون علم الله قديماً من جهة ، ومتعلقاً بالأشياء الحادثة من جهة أخرى ؟

هنا سؤالان يتبادران إلى الذهن وهما :-

١. إذا كانت الأشياء كلها في علم الله قبل أن تكون ، فهل هي بعد وجودها ، أو قل بعد تحققها تماماً مثل ما كانت في علمه تعالى قبل تحققها ؟

٢. أما الأشياء التي قس علم الله قبل وجودها أو تحققها تختلف عما أصبحت بعد وجودها ؟

يقول ابن رشد فإن لم يعرف الربط لم يقدر على الحل " فإن قلنا أنها في علم الله حال وجودها في غير ما كانت عليه في علمه قبل أن توجد ، لزم أن يكون العلم القديم متغيراً ، وأن يكون إذا خرجت من العدم إلى الوجود قد حدث أن هنالك علم زائد ، وذلك مستحيل على العلم القديم وإن قلنا أن العلم بها واحد في الحالتين , قيل (فهل هي

في نفسها) بمعنى الموجودات الحادثة قبل أن توجد كما هي حين (ما) وُجـــدت ؟ ، فسيجب أن يقال : (ليست في نفسها قبل أن توجد كما هي حين (ما) وصدت " و إلا كان الموجود والمعدوم واحداً .

فإذا سلم الخصم هذا ، قيل له : (افليس العلم الحقيقي هو معرفة الوجود على ما هو عليه) ؟

النقد المنهجي في فلسفة ابن رشد ونقده للغزالي :-

وصل هذا الشك يستدعي كلاماً طويلاً ، إلا انّا ههنا للنكتة التي ينحل وقد رام أبو حامد حل هذا الشك في كتابه الموسوم (التهافت) بشيء ليس فيه مقنع وذلك أنه قـــال قولاً معناه هذا : وهو أنه زعم أن العلم والمعلول من المضاف ، وكما أنه لم يتغير أحد المضافين ولا يتغير المضاف الآخر في نفسه ، كذلك يشبه أن يعرض للأشياء في علم الله سبحانه . (العلم الإلهي علة للمعلوم , والعلم الإنساني معلول له) .

ويجيب ابن رشد على هذا الشك فيقول : (والذي ينحل به الشك عنـــدنا هـــو أن يعرف أن الحال في العلم القديم مع الموجود خلاف الحال فـــي العلـــم المحـــدث مـــع الموجود . وذلك أن وجود الموجود هو علة وسبب لعلمنا ، والعلم القـــديم هـــو علـــة وسبب للموجود ، فلو كان إذا وجد الموجود بعد أن لم يوجد حدث في العلم القديم علم زائد كما يحدث ذلك في العلم المحدث ، للزم أم يكون العلم القديم معلولاً للموجـــود لا علة له فإذا واجب أن لا يحدث هنالك تغير كما يحدث في العلم المحدث , وإذا تقرر هذا فقد وقعت الراحة من جميع المشاجرة بين أي حاسد والفلاسفة .

وينبه ابن رشد إلى كيفية استخدام قياس الغائب على الشاهد ، وقد عرف فـــسارد هذا القياس وكما أنه لا يحدث في الفاعل تغير عن وجود مفعوله ، واعني تغيراً لم يكن قبل ذلك ، كذلك لا يحدث في العلم القديم سبحانه تغير عند حدوث معلومة , والمقدمات المستعملة في هذا الفصل مشهورة جلية , لأنها كلها من باب قياس الغائب على الشاهد اللذين لا يجمعهما جنس ولا بينهما مشاركة أصلاً .

صفات العلم الإلهي عند ابن رشد :-

١. يؤكد ابن رشد على صفة القدم للعلم الإلهي فيقول (فإذا العلم القديم إنما يتعلـــق بالموجودات على صفة غير الصفة التي يتعلق بها العلم المحدث .

٢. عالم بالأشياء لأن صدورها عنه (الله سبحانه وتعالى) إنما هو من جهة أنه عالم لا من جهة أنه موجود فقط أو موجود بصفة كذا بل أنه عالم .

٣. يستخدم ابن رشد الدلالة القرآنية من خلال الآيات قال تعالى : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) سورة الملك آية ١٤ ، وقد اضطر البرهان إلى أنه غير عالم بها بعلم هو على صفة العلم المحدث فواجب أن يكون هنالك للموجودات علم آخر لا يكيف . وهو العلم القديم سبحانه .

ماهية العلم الإلهي عند ابن رشد :-

يرى ابن رشد أن الله الذي يعطي الكائنات صورها يعلم هذه الكائنات بعلم يخصه فالصورة ليست سوى (المعنى الذي به صار الموجود موجوداً ، وهي المدلول عليها بالاسم والحدّ ومنها مصدر الفعل الخالص بموجود موجود ، والمادة دون الصورة هي شبه معدومة إذ لا ترتيب فيها ولا معنى لها تدرك به .

ويؤكد ابن رشد على أن عقل الله إذا هو اشرف العقول ، وعلمه أكمل العلوم ، لذا وجب ألا نقابله بعلم الإنسان أو نعطيه صفات تشبه صفات العلم والتعقل فينا ، فعلم الخالق أصلاً هو علة لوجود الأشياء بصورها .

وإذا شئنا أن نتتبع غاية ابن رشد وجدناه يهدف من خلال انتقاداته وبراهينه حول السببية الإلهية إلى تقسيم البحث الفلسفي في الخلق إلى مستويين : مستوى الصفات الإلهية ومستوى الصفات الإنسانية .

وبعد أن استدل ابن رشد على العالم من خلال عالمه ومعلوماته ، اتبع المنهجية عينها للاستدلال على المنظم من خلال النظام والترتيب السائدين بين الموجودات (وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم) .

ولكن هذا كله هو من علم الراسخين في العلم ولا يجب أن يكتب هذا , ولا أن يكلف الناس اعتقاد هذا , ويجب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله .

الخاتمة

*أدلة وجود الله عند الغزالي واضحة المعالم لأنها تتميز بتحديد البراهين الفلسفية مثل دليل التمانع ودليل العناية الإلهية ودليل الاختراع ، ومنهجه في البحث لأدلة وجود

الله قائم على النظر القلبي فيبين استعدادات القلب لمباحث المعرفة على وجود الله سبحانه وتعالى ، وهناك بعض العلوم العقلية استخدمها الغزالي للتعرف على العالم الخارجي وهو عالم الشهادة والحواس مثل البديهيات ، والمجربات والتصديقات والحدسيات لكي يؤكد على أن الله تعالى لا يعزب عن علمه مثقال حبة من خردل وأن الله سبحانه وتعالى يعلم جميع الممكنات والجزئيات والكليات للأشياء المخلوقة .

*إن القلب مصدر هام من مصادر المعرفة عند الغزالي لذلك ربط بين القلب والعقل في البرهنة على وجود الله ، ومن هنا سار القلب والعقل في الفكر الإسلامي في إطار واحد ودون أن يقع بينهم الصدام الذي عرفته الفلسفة اليونانية ، ونجد ذلك في أكثر الآيات القرآنية التي استخدمها الغزالي في أدلة وجود الله وبالأخص دليل التمانع والمعرفة القلبية أساس التوحيد بالله تعالى ، ويستخدم القلب للاستدلال على وجود الله من خلال مخلوقاته وقدرته لخلق العالم حتى يصل إلى الإيمان القلبي وهو الوحدانية لله , وهذا ما يسمى عنده بالحدس القلبي لأن الإيمان عبارة عن نور يقذفه الله في قلب الإنسان المؤمن ..

*إن أهداف المعرفة عنده تختلف حسب موضوعات المعرفة ففي عالم الشهادة دراسة الظواهر الفلكية والعلوم الطبيعية والهدف منها التعرف على عناية الله تعالى وموضوعاته التي تدل على أن علمه محيط على بكل شيء وأن قدرته الإلهية منظمه للعالم وهو يعلم كل صغيرة وكبيرة لقوله ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

*وبهذا يكون الغزالي قد وضع للمعرفة منهجاً قويماً , وللعلم حداً دقيقاً يخلصه من عناصر الغموض واللبس , وأظهر استحالة الوثوق بالعقل عن طريق العقل نفسه .

عندما استدل الغزالي على وجود الله من خلال الأدلة الفلسفية الإيمانية التي تخالف الفلاسفة اليونانيين أمثال أفلاطون وأرسطو استنتج أن هناك معرفة لا مدخل للعقل بها وهذا ما يسمى بعالم الغيب هو تقرير الوحدانية لله تعالى فتحصل التفرقة بين علم الله تعالى وعلم الإنسان , وقد ضرب أمثلة جديرة بالاعتبار لبيان إمكان خطأ العقل في أحكامه وأخرى لبيان إمكان خطأ الحواس , وأساس المعرفة إلى الإلهام لا إلى العقل .

*إن الغزالي قد انتهى إلى إثبات حدوث العالم ويوجه النقد إلى أفلاطون وأرسطو والفارابي وابن سينا لقولهم بقدم العالم لذلك يقولون بأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات ، وحدوث العالم عند الغزالي يستدل عليه بشيئية المعدوم لأن المسبوق بالعدم محدث والعدم عنده نفى محض ومن خلال حدوث العالم يقدم الغزالي الأدلة على التنزيه المطلق لله سبحانه وتعالى بقوله إن الله يعلم الكليات والجزئيات وأنه بكل شيء محيط ، ويتناول الزمان بمدلوله الصحيح لإثبات حدوث خلاف الفلاسفة السابقين لأن قبل حدوث العالم لا وقت ولا زمان بل ليس إلا الله تعالى .

*إذن الهدف عند الغزالي من البرهنة على وجود الله وصلتها بالعلم الإلهي هو إثبات الوحدانية والتنزيه المطلق لله تعالى وصفات الله تعالى تحتوي على خمس أقسام : معنوية ، وذاتية ، وسلبية وفعلية وبين لنا الغزالي أن صفة العلم الإلهي من الصفات المعنوية لذلك يؤكد على تمييز هذه الصفات بعضها عن بعض لأن كل صفة من هذه الصفات لها خاصية لا توجد لغيرها .

*يخالف الغزالي فرقة المعتزلة لاستعمالهم الدليل العقلي فقط لإثبات صفة العلم ويثبت بأن علم الله تعالى عالم بكل المعلومات والله تعالى قادر على كل الممكنات ، وأنه حي بعلم وقدرة قديمة واحتياج الحادث إلى موجد لأنه لا يخرج شيء من العدم إلى الوجود إلا بعلم الله سبحانه وتعالى وقدرته وأن صانع العالم سبحانه واحد لا يشاركه أحد في ملكه ولا في صفة العلم . ذلولا الثقة في أن الله لا يمنحنا طبيعة مزيفة , لما أمكننا التعويل على العقل في اكتساب المعرفة .

***قسم الغزالي الصفات المعنوية إلى سبعة صفات** : العلم – الكلام القديم – الإرادة – القدرة – السمع والبصر – الحياة ، أما صفة العلم فلها خصائص من أهمها القدم لأنها تتفق مع وجود الله الأزلي الأبدي ، وكذلك عدم تشبيه علم الله سبحانه وتعالى بعلم الإنسان حتى يجعل للعقل حدود وبذلك يصبح مخالفاً لفلاسفة اليونان ويبين الغزالي أن العلاقة وثيقة بين صفة العلم الإلهي والعلوم الطبيعية التي تشمل عالم الشهادة والأكوان من شمس وقمر وفلك ونجوم وكواكب لأن الهدف الاسمي من هذه العلاقة هو أن علم الله محيط بكل هذه الموجودات ، وهو يعلم الظواهر الفلكية وما بها من أحكام الشمس والقمر والأفلاك جميعاً .

*ومن الجدير بالذكر بأن الغزالي يبين صفة مفهوم العلم الإلهي بالنسبة لمسألة التأويل عند الفارابي وابن سينا ولذلك يستخدم المنهج النقدي وفند آرائهم لقولهم بقدم العالم , متخذاً مصطلحات فلسفية وهي (الحدوث – العلم المحض – الخلق وغيرها).

ومنهجية الغزالي الموضوعية ظهرت عند ما لم ينقد الكندي لأنه يقول بحدوث العالم وإن الله يعلم الكليات والجزئيات وكان مخالفاً لأفلاطون وأرسطو لمفهوم العلم الإلهي , والكندي هو فيلسوف العرب الأول وله رسائله الفلسفية .

أما موقف ابن رشد من الغزالي فنلاحظ أنه يتفق معه في بعض المسائل ويختلف عنه أحياناً ففي مسألة علم الله يميز ابن رشد بين علمنا بالأشياء وعلم الله بها : فيقول أن علمنا معلول للأشياء المعلومة فلا يمكن إذا تشبيه علمنا بعلم الله وليس هناك الاسم (العلم) فقط وهذا ما قاله الغزالي .

- العلاقة وثيقة بين صفة العلم والحياة عند ابن رشد حيث يقول (ومن الصفات التي تلحق بصفة العلم صفة الحياة إذ يظهر في الشاهد أن الحياة شرط لازم من شروط العلم فصح ذلك على الغائب مثل الغزالي تماماً .

- أما بخصوص علم الله بالجزئيات فيقول ابن رشد أن الجزئي متضمن في الكلي والدليل على ذلك أن الرؤية الصادقة تتضمن الإنذارات بالجزئيات التي ستحدث في الزمان .

- كل ما علينا أن نستخلصه من نقد ابن رشد للغزالي هو وقوف فيلسوف قرطبة إلى جانب العقل الإنساني أما الغزالي باعتباره صوفي يقف بجانب الكشف الإلهي

" المصادر والمراجع "

أولاً : المصادر :-

١. إحياء علوم الدين الجزء الأول – الثاني – الثالث – الرابع – منشورات محمد علي منصور – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان سنة الطبع ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م .

٢. بداية الهداية : الغزالي – دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٠٨ – ١٩٨٨ م .

٣. تهافت الفلاسفة – الغزالي تحقيق وتقديم د. سليمان دنيا – دار المعارف – الطبعة الثالثة القاهرة ١٢٧٧ هـ – ١٩٧٥ م .

٤. تهافت الفلاسفة ، وتهافت التهافت ابن رشد وثالثهما تهافت الفلاسفة للعلامة خوجة زاده أوجد علماء الروم في عصره المتوفي سنة ٨٩٣ – الطبعة الأولى – المطبعة الخيرية سنة ١٢١٩ هـ الغزالي .
٥. القسطاس المستقيم – دار المشرق – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٩١ م.
٦. قواعد العقائد : الغزالي – تحقيق موسى محمد علي – عالم الكتب – الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ – ١٩٨٥ م .
٧. ميزان العمل – الغزالي كتب هوامشه أحمد شمس الدين – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٩ م .
٨. معيار العلم في فن المنطق – الغزالي – دار الأندلس – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

ثانيا : مؤلفات ابن رشد :-

٩. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ابن رشد الجزء الأول والثاني – الناشر مصطفى الحلبي الطبعة الخامسة سنة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .
١٠. تهافت التهافت ابن رشد الناشر مركز دراسات الوحدة العربية – الطبعة الأولى بيروت – ١٩٩٨ م .
١١. تهافت التهافت ابن رشد تحقيق خوجة زادة المطبعة الخيرية الطبعة الأولى سنة ١٢١٩ هـ .
١٢. ضميمة في العلم الإلهي ابن رشد ضمن كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال قدم وعلم عليه د. البير نصري نادر – دار الشرق – بيروت – الطبعة الثامنة سنة ٢٠٠٠ م .
١٣. مناهج الأدلة في عقائد الملة تحقيق د. محمود قاسم مكتبة الانجلو المصرية – الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ م .

ثالثا : المراجع :-

١٤. د. إبراهيم مذكور في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه – الجزء الأول – دار المعارف الطبعة الثالثة – ١٩٧٢ م .

١٥. د. أحمد محمود صبحي في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين الجزء الثاني – الأشاعرة – دار النهضة العربية – الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
١٦. الفارابي كتاب الملة ونصوص أخرى – تحقيق محسن مهدوي – دار المشرق بيروت لبنان الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠١ م .
١٧. الفارابي : كتاب الجمع بين رأي الحكيمين – علق عليه د. البير نصري نادر – دار المشرق بيروت لبنان – الطبعة الرابعة د. ت .
١٨. د. أميرة حلمي مطر – الفلسفة عند اليونان . دار النهضة العربية – الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧ .
١٩. الآمدي – غاية المرام في علم الكلام تحقيق أحمد فريد المريدي – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤م.
٢٠. د. جرار جهامي – مفهوم السببية بين المتكلمين والفلاسفة دراسة وتحليل دار المشرق – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية سنة ١٩٩٢ م .
٢١. جعفر آل ياسين ، الفكر الفلسفي عند العرب – دار المناهل للطباعة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .
٢٢. د. عبد الحليم محمود – الفكر الفلسفي في الإسلام – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٨٤ م .
٢٣. عثمان الكليسي العرياني – خير القلائد شرح جواهر العقائد – دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٢ م .
٢٤. فخر الرازي ، المسائل الخمسون في أصول الدين – تحقيق أحمد حجازي السّقا – المكتب الثقافي للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩ م .
٢٥. محمد عبد الله بن محمد البطليوسي – كتاب الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة صححه – محمد زاهد بن محسن الكوثري – الثقافة الإسلامية – الطبعة الأولى سنة ١٢٦٥ هـ – ١٩٤٦ م .
٢٦. محمد عبده (الشيخ) رسالة التوحيد – دار النصر للطباعة سنة ١٩٦٩م. (الإسلام دين العلم والمدنية تحقيق طاهر الطناحر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٤ م – ١٩٦٤ م .

٢٧. د. ماجد فخري – ابن رشد فيلسوف قرطبة – دار المشرق – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٥ م .
٢٨. د. محمد يوسف موسى بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط العصر الحديث – الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .
٢٩. موسى بن ميمون الفيلسوف الإسرائيلي القرطبي المتوفي عام ٦٠٥ هـ – المقدمات الخمس والعشرون في إثبات وجود الله ووحدانيته من دلالة الحائرين – شرح الحكيم أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد التبريزي صحح الكتاب – محمد زاهد الكوثري سنة ١٢٦٩ هـ .
٣٠. محمد بن درويش الحوت – رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة – علق عليه كمال يوسف الحوت – عالم الكتب – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
٣١. د. يحيى هويدي – دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية – دار الثقافة للنشر الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٢ م .

رابعا : المراجع المترجمة :-

٣٢. ج ت دي بور – تاريخ الفلسفة الإسلامية – نقله إلى العربية د. محمد عبد الهادي أبو ريدة – دار النهضة العربية – القاهرة – سنة ١٢٧٤ هـ – ١٩٥٤م .
٣٣. جورج سارتون : الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ترجمة د. عمر فروخ – الطبعة الأولى – بيروت – سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .

خامسا : دوائر المعارف والموسوعات العلمية :-

٣٤. دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول والثاني يصدرها باللغة العربية أحمد الشناوي وآخرين – دار المعرفة – بيروت – لبنان ، د. ت .
٣٥. الموسوعة العربية الميسرة – المجلد الأول – د. محمود محمد محفوظ وآخرون – دار الجيل – الجمعية المصرية – الطبعة الثانية - ، د. ت .
٣٦. الموسوعة الفلسفية المختصرة : ترجمة فؤاد كامل وآخرين , مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣ م .

٣٧. موسوعة الحضارة العربية الإسلامية : د. عبد الرحمن بدوي – المجلد الأول – الطبعة الأولى – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – القاهرة – سنة ١٩٨٧ م .

سادسا : المعاجم :-

٣٨. التعريفات – الجرجاني (السيد الشريف علي بن محمد ت ٨١٦ – ١٤١٢ م) الناشر مصطفى الحلبي سنة ١٢٥٧ هـ – ١٩٢٨ م .

٣٩. المعجم الفلسفي د. حبيل صليبا – الجزء الأول والثاني – دار الكتاب العالمي ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

٤٠. المعجم الفلسفي يوسف كرم وآخرين القاهرة ١٩٦٦ م

٤١. المعجم الفلسفي : د. عبد المنعم الحفني – الدار الشرقية – الطبعة الأولى – ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

٤٢. المعجم الفلسفي : معجم اللغة العربية – الهيئة العامة للشؤون الأميرية – سنة ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م .